السلسلة الشعرية

مِن وَحي الأَكباد النّازحَة

شعر
محمد عبد الغني حسن

المقدمة :

باسم الله جامع الشتيتين! وبعد:

فما عُرف أن شاعرا في الأدب العربي كله – على مدى تاريخه الطويل– صنع ديوان شعر برُمَّته في الشوق والحنين إلى أبنائه المغتربين، في رِباع من الأرض دانية أو قصية... ومن هنا كانت قيمة هذا الديوان الفريد الذي كاد صاحبه يجعله كله وقفا على اغتراب البنين، والشوق إليهم، وانتهاز كل فرصة مواتية، أو نهزة موافية، للحديث عن تلك الأشواق التي لا يعرفها إلا من يكابدها...

ولقد أتيح لصاحب الديوان أن يرحل مع قرينته الصابرة(أم البنين الأربعة) إلى كل بقعة من بقاع الأرض في البرازيل،والولايات المتحدة الأمريكية، وإنجلترا، وإيطاليا، وتركية، ليجتمعا مع الفلذات في أية رقعة تهيئها لهما الظروف، حتى حين كان الخروج من مصر معاناة تنخلع لها الرقاب... كما أتيح لهذا الوالد الصابر أن يقف على منابر عربية عالية في سورية، والعراق، وتونس، والرياض، والمدينة المنورة، وسان باولو.. فكان يستحضر في المناسبات الحافلة الحاشدة، السعيدة وغير السعيدة، ذكريات أبنائه المهاجرين، وكأنّ تلك المناسبة العامة قد تحولت إلى مناسبة خاصة بلذعات الاغتراب في

نفس الوالد الذي أذابه الحنين، مما لاقى من عنت السنين، وكأنه يردد مع "الخنساء" قولها في أخيها "صخر":

يذكرني طلوع الشمس صخرًا وأذكُره لكلِّ غروب شمس

وقد رأى الشاعر أن يجمع هذه اللذعات، واللمسات الأبوية، واللفحات العاطفية في ديوان واحد أسماه: **(من وحي الأكباد النازحة)** لعله يكون سلوانا لكل من باعدت – أو قد تُباعد – الأيامُ بينه وبين فلذاته. أو لعله يكون تسجيلا باقيا لأول ديوان في المكتبة العربية كلها، على امتداد التأليف العربي، وامتداد الأوطان العربية كلها، يعالج عن تجربة صادقة، ومكابدة حقيقية حُرَقة الوجد والحنين، إلى الأبناء النازحين.

القاهرة ربيع الأول سنة ١٤٠٢هـ محمد عبد الغني حسن

يناير سنة ١٩٨٢م

الطائر المهاجر...

أرسل الشاعر القصيدة التالية إلى الشاعر المهجري إلياس فرحات والأديب والصحافي المهجري موسى كريم صاحب مجلة الشرق البرازيلية يوصيهما بأكبر أولاده المهندس"نبيل" الذي هاجر إلى البرازيل سنة ١٩٦٨م: [الطويل]

أَودَعْتُ بين يديكم فلذة الكبـــد، وقلتُ سرْ في أمـــان الله يـــا ولـــدي
قضى الطموحُ عليـــه أن يُغَرِّبـــهُ عن رَبعه الخصب أو عن عيشه الرَّغِد
الحَبُّ في عُشِّه...والماء في فمـــه، لكنـــــه هـــائم كالطـــائر الغَـــرِدِ
ظمآنَ والماءُ يجري في جـــداولنا، والنيلُ يَروي على الشطَّين كل صدي
دعاه للمجد داع واســـتبدَّ بـــه من البواعث مـــالم يَجـــر في خَلَـــدي
آمالهُ ضاق عنها الشرق، فاغتربت تـــرى البعيـــدَ عليهـــا غـــير مبتعـــد
الكونُ خطوةُ رِجْلٍ عنـــد همَّتـــه، والأرضُ دانيـــة الأبعـــاد والأمـــد
تركتُهُ لطمـــوح الـــنفس ينقلـــه من مهـــده لفـــراش غـــير ممتهـــد..
ولم أشأ –مرغماً– تثبيطَ عزمتـــه، ولا أردتُ لـــــه أشـــــياءَ لم يُـــــرِدِ
أحببتُ من أجله ما فيه راحتـــه، وإن يكن فوق طوق الـــصبر والجَلَـــد
بَرغم أنفـــيَ أني لا تريـــد يـــدي تقييـــدَ منطلـــق، أو صـــدَّ مجتهـــد
فهل أطيقُ غـــداً توديعـــه بيـــد مرعوشـــــة، وفـــؤاد فيَّ مرتعـــد؟
يَدُ المقادير فيما بيننـــا حكَمَـــتْ بكلِّ ما لم تكن تقوى عليـــه يـــدي...
أستودعُ الله فيما بيـــنكم أمـــلاً يُـــوْمِي لغربتـــه مستـــشرفٌ لغـــدي

أَعدُّ من أجلــه الأيــامَ ســائرةً، فلا أوفَّــق في الحــسّبان والعــدد..
اليومُ يمضي بنا كالــدهر متَّئــدًا، لكــنَّ شــوقي إليــه غــيرُ مُتَّئــد..
أُغضي على نأيه عيني وأفتحهــا، فلا أرى مثلَه في النــاس مــن أحــد!
أستغفر الله... لم أعــدده مغتربــاً ما بينكم فهْو بــين الأهــل والبلــد
لولا وجودكُمُ في دار هجرتهِ ما كنتُ أسلمتكمْ يوم النوى كبدي..!

القاهرة– ديسمبر سنة ١٩٦٧

من الشاعر المهجري إلياس فرحات

أرسل الشاعر المهجري الكبير إلياس فرحات إلى صديقه صاحب الديوان الأبيات الخمسة التالية يعتذر فيها عن عدم تمكنه من استقبال أكباده النازحين إلى البرازيل: المهندسين نبيل، ويحيى، وهاني:[الطويل]

محمد! أهلا "بالنبيـــل" "وزوجـــه" وصنويه...أهلا بالـــشباب المهـــذَّبِ

لئن كنتُ لم أذهب إلـــيهم فـــإنني لأذهبُ في تقديرهم كلَّ مـــذهب..

أبوهم له عندي أيـــادٍ، وشـــيمتي نردُّ إلى الأبنـــاء مـــا كـــان لـــلأب

ولكنَّ دهـــرا كبَّلـــتني صـــروفُه، وصالت على ضعفي بنابٍ ومخلـــب

أقام قُصوري حائلا دون رغـــبتي، وأوقف عجزي حائطا دونَ مـــأربي..

سان باولو – البرازيل إلياس فرحات

فرد عليه صاحب الديوان بالقصيدة التالية:[الطويل]

بني لماذا اخترتم الهجر مذهبا؟

أبا خالدٍ[1]! بـالأمس طـال تلفُـتي ... إليـك، وإني اليـوم طـال تـرقبي!
فلي في حماكَ الرحبِ أطيـب نعمـةٍ ... تقابَلُ مـن نُعمَـى يـديك بأطيـب
بَـنيَّ وأفـلاذي الـذين تغيبـوا ... فغاب بهم عن كوكبِ السعد كوكبي
فأطيـافُهم مـني قريـبٌ مزارهـا ... ولكنمـا أجـسامهم في تَغَـرُّبِ
فَقَدتُ بهم نُعمى الحيـاة وصـفوها، ... فَطَيِّبُهـا أضـحى ولـيس بطيِّـب
وقلـبي علـى ترحـالهم في تلـهف، ... وقلـبي علـى تجـوالهم في تقلُّـب
تباعَـد مـا بـيني وبـين أحـبَّتي، ... ومطلبُهم أضحى بعيدا كمطلـبي...
رماهم طموحُ النفس بـين مناكـب ... من الأرض قد أثقَلْن بـالهمِّ مـنكبي
تحـاجزني عنـهم بحـارٌ بعيـدة، ... ومـوجُ محـيطٍ هـادرٍ متقلِّـبِ
بعيـدون حـتى بـالظنون.. كـأنهم ... يقيمـون في سـرٍّ بعيـدٍ مغيَّـبِ
إذا نلـتُهمْ حُلْمـاً فـذلك غـايتي، ... وإن رُمـتُهم طيفـاً فـذلك مـأربي
أسائلُ عنـهمْ كـل نجـمٍ مُـشرِّقٍ، ... وأسأل عنـهم كـلَّ نجـمٍ مغـرِّب
وأستروح الأنباء من نحـو أرضـهم، ... لأشفي جراحـاتِ الفـؤاد المعـذب
وأستخبر الرُّكبان عـن كـل قـادم، ... وأستنطقُ الربَّان عن كـل مركـب
أعلـل نفـسي بـالمنى برجـوعهم، ... وأين المـنى مـن واقـعٍ متوثِّـب؟!
دَعوني أعشْ في لذة الـوهْم سـاعةً! ... فقد ضلَّ في مرِّ الحقيقـة مـذهبي..

(١) خالد: هو أحد ولدي الشاعر إلياس فرحات، والثاني عاصم .

بَنيَّ! لماذا اخترتمُ الهجرَ مَذهباً، وجرَّبتُمُ فينا الذي لم يُجرَّب؟
لنا اللهُ من أمٍّ تقاسي على المدى أشدَّ جراحاتِ الزمان ومن أب!
أحاول أن ألقَى سُلُوِّيَ عندها، فيزدادُ ما بي من جَوًى وتلهُّب
تُكبُّ على ساعي البريد عيونُنا، ونرقُبُهُ في البيت من كل مَرقب
إذا ظفرتْ منه يدي برسالة، فقد عُدتُ من يومي بأحسن
نُقبِّلُها في لهفةٍ وتشوُّقٍ، ونلثمُها في فرحةٍ وتوثُّب!
ونقرأ ما بين السطور ... كأنما نسائلها عن كل معنى محجَّب..
ونحفظها تحت الوسادِ تميمةً، تضوِّى بِشْرا في الجبين المقطّب

أبا خالدٍ! فيمَ اعتذارك عندنا وأنت قديمُ الفضل جمُّ التأدب؟
هممتَ بمعروفٍ! فسجَّلتهُ لكم، وأنتَ عن المعروف لم تتنكَّب
بسطتَ لديَّ العذرَ، والصدقُ طبعكم، فلستُ لكم يا صاحبي بمكذِّب
نويتَ! وللإنسان في الدهر ما نوى، فبوركتَ من ناوٍ، ومن مُتعتِّب
حمِدتُ لك القول الجميل، وفي غدٍ سنحمَد منك الفعل! يا خير منجب!

القاهرة – سنة ١٩٦٩

سأظل أذكرها مدى عمري...

حين كان الشاعر في البرازيل لزيارة أكباده النازحين، أقيمت له مآدب وحفلات كثيرة، منها المأدبة الكبيرة التي أقامتها الصحافية: ماريانا دعبول فاخوري صاحبة "المراحل" وكانت هذه المأدبة الحافلة بأعلام الأدب والفكر والمال في سان باولو توديعا للشاعر وقرينته بمناسبة عودتهما إلى مصر: [الكامل]

أرقيتي[1]! أرفيقةَ العمرِ! حان الرجوع إلى رُبى مصرِ
بشرى! فبعد غدٍ ترحُّلنا، وسترفع الأغلال عن إصري...
الدارُ بعد غدٍ تقابلنا بعد النوى بالأنس والبشر
داري أحقُّ بكلِّ عاطفتي، وأحقُّ بالإكبار، والفخر
فعلى جوانبها نمتْ كبدي، وعلى ملاعبها هفا صدري!
وعلى ضفاف النيل مجلسنا بين الجنان الفيح، والخضر
"النيل" يُسمعنا حكايته ويقصها من أول الدهر ...
أرقيتي! أشريكةَ العمر حان الإياب فهيئي أمري!
الغربة النكراء ما برحت –والله–بين أضالعي تسري
هل رقدةٌ لي في حمى وطني؟ هل وقفة في ملتقى النهر؟
أين العشيات التي سلفت لي من وراء الشطِّ والجسر؟
أرضي أعزُّ بكلِّ ما ملكت من كل ما في الأرض من تبر..

(١) هي السيدة رقية أحمد بدير قرينه الشاعر.

أنا لا أفــضلها علــى بلــدٍ ... إلا لمــا فيهــا مــن الخــير
لولا البنون النــازحون لمــا ... جمجمتُ بــين الــبر والبحــر
قلبي يسير وراهــم جزعــا ... متلفتا مــن شــدة الــذعر!
أنا والرفيقة خلفَ مجــثمهم ... في الأرض من وكْرٍ إلى وكــر
نهتاج باللُّقيا... فإن وهنــتْ ... أســبابها نهتــاج بالــذكر...
نخشى علــيهم أن يــؤرقهم ... ما في حياة الناس مــن ضُــر
قد آثــروا عنــا ترحُّلــهم ... فإلى متى الترحال يا طــيري؟
لا تكشروا-بالله-غــربتكم ... إن التغرب قاصمٌ ظهــري..
بالله يا مــولاتي[1] اتئــدي ... أنا من رحابك في ندى غَمــر
مالي كما أُلهمتِ من جَلــدٍ ... مالي كما أوتيت من صــبر..
أنا قيدُ ما قدَّمتِ من كــرم ... أنا عبدُ ما أوتيــتِ مــن بِــرِّ
أســديتِ للأبنــاء مكرمــةً ... سأظلُّ أذكرها مدى عمــري
إن فــاتهم شــكرٌ فمعــذرةً ... هم حمَّلوني واجــب الــشكر!
تكفي (المراحل) عنك شاهدةً ... بجهادك الموفي علــى الزُّهــر
هي روضــة غنــاء حافلــةٌ ... بــالطَّيِّبِين: الــشعر والنشــر!
هي مَعْلمٌ لطريــق نهــضتنا ... ومنــارة غــراءُ للفكــر...
يامن جمعتِ الفضل في سبب ... وجمعتِ أهل الفضلِ والــذكر
وحشدتِ لي في النيرات هنا ... حشدا يكاد يجلُّ عن حصري!

(١) المخاطبة هي السيدة ماريانا دعبول صاحبة الدعوة، وصاحبة "المراحل".

أدْنيتِ لي نائي النجوم وقــد وافَى فعزَّ بقــدره قــدري
"فليبُ لطف الله" يطــربني بحديثــه الجــذَّاب كالــسِّحر
و(المغربي)[1]هنا يــساجلني و(ابن النبيه)[2] يشد من أزري
والطيبون الخالــدون هنــا من عــالَم الآداب والــشعر
وأكاد لا أنزاح عن رجــلٍ إلا إلى حــسناءَ كالبــدر..!
في ليلة لودِدْتُ لو وصــلتْ أسبابُها بمطــالع الفجــر ...!

شكرا لمن باللطف كــرَّمني، وأمدَّ من كَرْماتــه خمــري..!
شكرا لمن أســدى عوارفــه، وأنالني منــه يــد الحــرِّ...
شكرا لمــن وافى فرحَّــب بي من ثغره البــسام في ثغــري!
شكرا لمــن أهــدى إليَّ يــدا كَيَدِ المسيح تطبُّ، أو تُــبرى
شكرا لعُوّادي ومــا صــنعوا حين الجراحةُ أوهنتْ صدري
إني نسيتُ بكم أسى زمــني، ونسيتُ ما لاقيتُ من دهــري

سان باولو سنة ١٩٧٥

(١) هو الشاعر المهجري ميشيل مغربي المشرق الديباجة .
(٢) هو الشاعر المهجري نبيه سلامة.

متى الملتقى؟

إلى ولدي النازح بالبرازيل المهندس "يحيى" بمناسبة عيد ميلاده الثالث والعشرين: [الرمل]

جاءكَ العيــدُ وضــيئا مــشرقا هانئــاً، مبتــسما، مؤتلقــا

أنــت لا تبعــد عــن أعيننــا باقيــا، أو نازحــا منطلقــا

تجتليك العينُ صبحا أو مَــسا، وتُناجيك الضحى والغــسقا!

آه! لو أملك أمــري بيــدي، كنت أطبقت عليك الحدقا!...

أيها النــازح عــن روضــته! حفَّك الروض نــضيرا عبقــا

آه! لــولا رحمــةُ الله بنــا لاكتوى القلبُ بكم واحترقــا

آنَسَ الله لكــم وحــشتكم! وطوى الأرضَ لكم والطرقــا!

وقــضى اللهُ لنــا أن نلتقــي، ومــتى يافلــذاتي الملتقــى؟

القاهرة سنة ١٩٦٨

هنا ملتقانا... هنا الموعد

إلى ولدي الطبيب الدكتور أحمد بجامعة بتسبرج، الذي أكلته الغربة:
[المتقارب]

بعُـــدتَ، وذكـــراك لا تبعـــدُ، مـــتى نـــستردك يـــا أحمـــدُ
إلامَ تظـــل تجـــوب الـــبلاد، فـــلا تـــستقرُّ، ولا تَخْلُـــدُ؟
تـــشدُّك أرضٌ إلى أختـــها، كأنـــك عـــن أرضـــنا مبعـــدُ
مـــواطنُ –والله– لم يرتفـــع أذانٌ بهـــا، أو يَقُـــم مـــسجد
ولا رقَّ في أذني مقـــرئ يرتِّـــل لله، أو ينـــشدُ
ولكـــن كفـــى أن أطيارهـــا تـــسبح لله أو تـــسجد
وأن الطبيعـــة في ســـحرها دليـــل علـــى أنـــه الأوحـــد...

أأحمـــد! قـــد مـــزَّقتني النـــوى! وحـــار معـــي الرُّشـــد والمرشـــد!
ولم تكفـــني غربـــة النَّيِّـــرين[1] فـــلاح لنـــا كوكـــبٌ أســـعد[2]
سميِّـــي الـــذي مـــن حـــروف اسمـــه ومـــن أيكـــتي غـــصنُه الأملـــد
إلى اليـــوم لم يطـــوهِ ســـاعدي، ولم تترفـــق عليـــه اليـــد!
علمـــتُ بمولـــده نازحـــاً، فكنـــت كـــأني الـــذي أولَـــدُ..
ألـــيس امتـــدادا لأمـــسي ويـــومي وفي بُردتيـــه يكـــون الغـــدُ؟

(١) يقصد الشاعر بالنيرين حفيديه النازحين: جميل ونادر بسلفادور وسان باولو.
(٢) هو الحفيد: محمد أحمد عبد الغني.

ترفـــقْ بنـــا أنـــت والنـــازحين، فلـــيس مـــن العـــدل أن تبعـــدوا
فمـــا العمـــر أهنـــأ في وحـــشة، ولا العـــيش في غربـــة أرغـــد
ومـــصر أحنُّـــب أضـــلاعكم، ولـــو أنهـــا الـــصخر والجلمـــد
نعـــم! دار غـــربتكم جنـــةٌ، ولكنمـــا بابهـــا موصـــد!
ديـــار التَّغـــرُّب لا تُـــشتهى، ولـــو أن حـــصباءها عَـــسْجَدُ
فجوبـــوا الـــبلاد...ولكـــنكم بغـــير "الكنانـــة" لـــن تهتـــدوا
إذا مـــا عـــشقتم فمـــصرُ الهـــوى، ومـــصر النهايـــةُ والمقـــصد...

ترفـــقْ بنـــا يـــا رفيـــق الـــسفارِ أمـــا شـــاقك المهـــدُ والمولـــد؟
بـــلادك فيهـــا جـــلال العـــصور، وأصـــل الحـــضارة والمحتـــد
فمصر أحـــق بمـــا قـــد زرعـــتَ، وأرضـــك أولى بمـــا تحـــصدُ
وهلَّـــا حَنَنْـــتَ إلى تربـــة تكـــاد لأقداســـها تُعبـــد!
يـــرفُّ النُّـــضار علـــى تربهـــا، ويـــصفو علـــى (نيلـــها) المـــورد
ترفـــقْ! ففـــي عمرنـــا فَـــضْلةٌ أخـــاف –علـــى غفلـــة–تنفَـــدُ
فهـــل لـــذَّ لي بعـــدكم ســـامرٌ؟ وهـــل طـــاب ليبعـــدكم مرقـــدُ؟
ومـــا كـــان لي ســـببٌ في الفـــراق ولا كـــان لي في نـــواكم يَـــدُ؟
قـــد اختـــرتمُ في الحيـــاة طريقـــا ولكنـــه النـــازحُ الأبعـــد...
إذا رمـــتُ رؤيـــتكم في المنـــام تـــأبَّى المنـــام فـــلا أسْـــعَدُ!
وإن شـــئتُ زورتكـــم مـــرةً يكـــاد الطريـــق بنـــا يـــشردُ!

نطـــير علـــى مـــتن (نفاثـــة) وينبـــو بنـــا فوقهـــا المَقْعَـــد !
تئـــزُّ مدويـــةً في الفـــضاء وتـــبرق في الجـــو أو ترعـــد
وتطوي بنـــا الليـــلَ بعـــد النـــهار فليـــست تكـــلُّ ولا تخمـــد ..!

بـــنيَّ: لكـــم وحـــشةٌ في الفـــؤاد وفيـــه لفـــرقتكم موقـــد!
ولي في الطريـــق لكـــم موقـــفٌ يطيـــب الـــسرى فيـــه أو يحمـــد
إذا مـــا التقيـــتُ بكـــم مـــرةً أرى النـــار في كبـــدي تـــبرد!
فـــأغفرُ للـــدهر سَـــوْآته، وأركـــعُ لله أو أســـجدُ
وأهتـــفُ مـــن فـــوق أرض النـــوى: هنـــا ملتقانـــا!...هنـــا الموعـــد!

بتسبرج ـــ ١٩٨٠

هناك على الربوة العاليةْ

أغفى الشاعر إغفاءة طويلة على ربوة تشرق على المحيط الأطلسي في ثغر سلفادور، فأوحت إليه بالأبيات الآتية: [المتقارب]

هنـــاك علـــى الربـــوة العاليـــه، رقـــــدتُ أهدهـــــد أجفانيـــــهْ
يـــداعبني الرمـــلُ مـــن جانـــب، ويضحك لي المـــوجُ مـــن ناحيـــهْ
ويصحو النـــسيمُ علـــى رقـــدتي، فيـــــوقظ بـــــالرفق أحلاميـــــهْ
تمرُّ علـــى خـــاطري الـــذكريات، وتنـــــساب رائحـــــةً غاديـــــه
وتصعد بي فـــوق هـــام الـــسُّهى، وتهـــــبط منـــــها إلى الهاويـــــه
وتحملـــــني مـــــن وراء المحـــــيط إلى النيـــل، والنخـــل، والـــساقيه
إلى حيث عُشّي الذي قد درجـــتُ عليـــــه، ونـــــشَّأتُ أفراخيـــــه
إلى حيث أيكي الذي قـــد نَمَـــوْتُ عليـــــه، ونَمَّيْـــــتُ أغـــــصانيه
إلى حيـــــث مـــــصرٌ بأحلامهـــــا وأيامهـــــا الحلـــــوةِ الزاهيـــــه
وحيـــــث الحـــــضارةُ في مـــــوطني حـــــديثا، وفي الأعـــــصر الخاليـــــه
وحيـــــث تحـــــدِّث آثارنـــــا، وتحكـــــي روائعنـــــا الماضـــــيه
تقـــصُّ علـــى الـــدهر أخبارنـــا وأخبـــــارَ أمجادنـــــا الغاليـــــه
تمـــرُّ المواكـــب مـــن حولنـــا، وتمتـــــدُّ ذاهبـــــةً آتيـــــه
إذا مـــــا افتخرنـــــا بأهرامنـــــا فـــــإن مآذننـــــا عاليـــــه
وإن كـــان "فرعـــون" في عرقنـــا فـــــإن "عروبتنـــــا" باقيـــــه

جمعنـــا مـــن المجـــد أطرافـــه ... وعزَّالحـــــــــضارةوالباديه
هنـــاك علـــى الربـــوة العاليـــه ... فقـــدت المواســـيَ والآســـيه
فيـــاربِّ عفـــوا! فـــلا مـــسجدٌ ... أناجيـــك فيـــه، أو زاويـــه
وكيف؟ وأنـــت إذا مـــا اتجهـــتُ ... صـــلاتي، ونـــسكي، وقرآنيـــه؟
أراك علـــى كـــل غـــصن يـــرفُّ ... وفي كـــل ســـنبلة ناميـــه
وأرنو إليـــك بقلـــبي الـــضعيف، ... وأهفـــو بآمـــاليَ الذاويـــه
أتيتـــك مستـــشعفا بـــالبنينَ ... أســـأئلك الأجـــرَ والعافيـــه
ركبـــتُ المخـــاطر مـــن أجْلـــهم، ... وذقـــتُ المريـــرة والحاليـــه
فقـــد فرقتـــهم نـــواحي الـــبلاد، ... وضـــمتهمُ الأربُـــعُ القاصـــيه
وراءَ البحـــار لهـــم خطـــوةٌ ... تـــضاعفها الخطـــوة التاليـــه
عجبتُ لهم: كيـــف ضـــاقت بهـــم ... –على ســـعة– مـــصرنا الحانيـــه؟

بَـــنيَّ! لقـــد جئـــتكم زائـــرا، ... وبي مـــن حنـــيني لكـــم مابيـــهْ
أُعـــدُّ لقـــائي بكـــم موكبـــا ... لأجمـــل أيـــام أفراحيـــه
غفـــرتُ بـــه ســـيئاتِ الزمـــانِ، ... وألقيـــتُ في الـــيمِّ أحزانيـــه
شـــققْتُ المحـــيط لكـــم هـــادراً، ... وخـــضتُ الريـــاحَ لكـــم عاتيـــه
أنـــا والرفيقـــة في رحلـــةٍ ... وفي لهفـــة نحـــوكم طاغيـــه
فلسنا نبالي –لنحظـى –بكـم– ... متاعـــبَ جَولاتنـــا القاســـيه
نـــودِّعكم –حـــين نلقـــاكُمُ– ... علـــى أمـــل الملتقـــى ثانيـــه!!

سلفادور – سنة ١٩٨٠

فمصر الثّراء، ومصر العطاء

من وحي التقاء الشاعر بأكباده الأربعة النازحين في البرازيل وأمريكا الشمالية: [المتقارب]

تَلاقَــى الأحبَّــةُ ... وافــرحتي! لقــــد حقَّــــقَ الله أمنـــــيتي!
فعـــاد الهـــدوءُ إلى خـــاطري، وآب الـــــسرور إلى مُهجـــــتي
وقــرَّ الرفيقــان عينــاً... كمــا يقــــرُّ المـــــسافر بالأوبـــــة
هنا التأم الــشمل بعــد الفــراق بـــأرض التغـــرُّب والوحـــشة
لقينـــا الأحبَّـــةَ في ملتقًـــى أزاح الزمـــانُ بـــه علَّتِـــي
فواعجبـــاً لـــديار النَّـــوى تؤلفنـــا اليـــوم مـــن فُرقـــة!
ولكنـــها حـــسناتُ الزمـــان تقابـــلُ بالـــشكر كالنعمـــة...
ولله في صـــــنعه أنعُـــــمٌ تجـــلُّ عـــن الحمـــد والمنـــة
هنا ملتقــى الأكبــدِ النازحــاتِ، ومجتمـــع الأهـــل والإخـــوة
لقــد غــادروا عُــشَّهم هــازئين ببعُـــدِ المـــسافة والـــشُّقةِ
فلـــم تُثْـــنِهم غمـــراتُ المحـــيط، ولا زَبَـــدُ المـــوج واللجـــة
لهم جرأة في اقتحــام الــصعاب، وصـــبرٌ علـــى الحلـــو والمـــرة...
خشيتُ عليهم هــوانَ الغريــب، وذُلَّ الترحُّـــــل والغربـــــة
وأشـــفقتُ أن يركبـــوا مركبـــاً يـــضاعِف مـــن أجلـــهم حـــسرتي
ولكنـــهم أوغلـــوا كالـــسهام تـــصيبُ وتبعـــدُ في الرَّمْيـــة
لهـــم همـــةٌ مثـــل آبـــائهم! تَبارَكْـــتِ –والله– مـــن همـــة!

تـــــروح لأبعـــــد غاياتهـــــا، وتغـــدو بعيـــدا عـــن الخيبـــة
ترى في "البرازيل" مـــسْرى لهـــا، ومغـــــدى إلى المجـــــد والرفعـــــة
ووالله، لا مـــصر ضـــاقت بهـــم ولا بخلـــتْ مـــصرُ باللقمـــة...
ولا (النيـــل) جـــف بآلائـــه، ولا ضـــن بالـــشَّربة العذبـــة
فمصرُ الثـــراءُ، ومـــصر العطـــاءُ، ومـــصرُ الكريمـــةُ في المنبـــت
ولكنـــها قفـــزاتُ الـــشباب إلى المرتقـــى الـــصعب والقمَّـــة
هنـــا اجتمـــع الـــشملُ في عـــالَم عجيـــبٍ تفـــرد بالجـــدَّة
فأرضُ الجنوب كـــأرض الـــشمال منوعـــــةُ المـــــاءِ والتربـــــة
فمـــن جبـــل عممتـــهُ الثلـــوجُ، إلى شـــجرٍ دائـــم الخـــضرة
ومـــن نَهَـــرٍ هـــادرٍ بالـــسيول إلى جـــدول هـــادئ الـــضفة
ومـــن شـــاطئ نـــاتئ بالـــصخور إلى ســـاحل نـــاعم الرملـــة
بقـــاعٌ تَـــوَزَّع فيهـــا الجمـــال على الغاب، والـــروض، والأيكـــة...
تظـــلّ تغـــرِّد أطيارهـــا وتبـــدع في اللحـــن والنغمـــة...
فلـــم أرهـــا خرِســـتْ لحظـــةً ولم تتوقـــفْ، ولم تـــصمتِ
ولـــولا الحيـــاء لـــشبّهتُها –وأســـتغفر الله– بالجنـــة!
بـــلاد ألفـــتُ اقتحـــامي لهـــا بغـــير حـــسابٍ، ولا كُلفـــة!
أنـــا و(الرفيقـــة) في زَورة لهـــا كـــلّ عـــامٍ وفي رحلـــة
أســـير إليهـــا، وأمـــشي عليهـــا وتنـــداحُ في أرضـــها خُطـــوتي!
وأصـــبو إلى كـــل ركـــنٍ بهـــا ففيهـــا الأعـــزاءُ مـــن صـــبيتي...!

سلفادور –سنة١٩٨٠

فاضحك إلى الدنيا الجميلة

مر المهندس "يحيي" ولد الشاعر بظروف غير مواتية قلبت بسمته الجميلة إلى أفكار غائمة، وتحير ذاهبا أو آيبا بين الولايات المتحدة والبرازيل ... فكتب إليه والده يقول: [الكامل]

بـــالله يـــا يحـــيى! وفيـــك مـــشابهٌ ... مني، وفيـــك ملامـــحٌ مـــن عـــزَّتي!

لا تَحسَبِ الشكوى تُنيلـــكَ فائتـــا ... أو تستردُّك بعـــضَ شـــيء مُفلـــتِ

فاضحك إلى الدنيا الجميلة ينكـــشفْ ... لك ثغرها عن ضِـــحكةٍ أو بَـــسْمةِ!

بالله ما جدوى البكاء علـــى الـــذي ... ولَّى ولم يكُ من نصيبك...فاســـكتِ!

لا تعتبنَّ علـــى "ابـــن آدَم" لؤمـــه ... مـــا أنـــتَ إلا مثلُـــهُ في الفطـــرة...

أَوْصِلْ حبالَـــكَ بالـــسماء لطيفـــةً ... واقطعْ حبالك بالـــذي، أو بـــالتي...

لا تأسَ يا ولـــدي لـــشيء فائـــتٍ ... لا تجـــزعنَّ لـــذاهبٍ متفلـــت...

فـــالله يـــدَّخرُ الأحـــبَّ لعبـــدهِ ... ويُنيلُـــهُ أجـــرَ الـــشكور المخبـــتِ

وإذا تعقـــدتِ الأمـــورُ فحلَّهـــا ... بالـــصبر، لا بحماقـــةِ المتعنِّـــت...!

القاهرة سنة ١٩٨١

ما زلنا نسير ...!

مع أكبادي النازحين في المهجرين الأمريكيين الشمالي والجنوبي وفي أوربا مازلت أسير في دروب الحياة الطويل الشاق، مؤمنا بقضاء الله الذي لا مفر، ولا محيد عنه...: [الرمل]

نحن قد سرنا ...ومـــا زلنـــا نـــسيرْ، رغم ما في الدَّرب من بعض الـــصخورْ
إنمـــا الـــدنيا طريـــقٌ شـــائك غـــيرُ مفـــروش دوامـــا بـــالزهور
شيبَ فيهـــا الحلـــو بـــالمرِّ... كمـــا حُفَّـــتِ الجنـــةُ فيهـــا بالـــسعير..
لا المـــساءاتُ بهـــا ظلّـــت، ولا بقـــي الحـــزن، ولا دام الـــسرور
أَوَمـــا كنـــتُ وأكبـــادي هنـــا لم يفرقنـــا أصـــيلٌ أو بكـــور...؟
شملُنـــا في عُـــشِّنا مجتمـــعٌ.. وليالينـــا أغاريـــدٌ ونـــور...
فـــإذا العُـــشُّ الـــذي أَلَّفَنـــا حـــدثتْ فيـــه أمـــورٌ وأمـــورْ...
وإذا أكبادنـــا نازحـــةٌ... من وراء الظن، مـــن خلـــف البحـــور
هـــوَّنَ الـــدربَ علينـــا أننـــا لم نضقْ يوما بمـــا تحـــوي الـــصدور...
كـــلُّ شـــيء هَـــيِّنٌ مـــا ســـلمتْ عزةُ الـــنفس، ومـــا صـــحَّ الـــضمير
وإذا مـــا سَـــلِمَ العِـــرضُ فـــلا بـــأسَ بالأحـــداث فالخطـــب يـــسير
من كفانـــا أمـــسِ مـــا صـــار لنـــا فهـــو يكفينـــا غـــداً مـــا سيـــصير
قـــد قطعنـــا الـــشوطَ مـــن أوَّلـــهِ فلمـــاذا الهـــمُّ في الـــشوط الأخـــير؟

القاهرة –مارس سنة ١٩٧٦

يذوب المهاجر في أرضها...

إلى حفيديّ الغاليين: جميل، ونادر، المولودين في أرض الغربة:
[المتقارب]

إذا لاحَ مـــن نحـــوكم شـــيِّقُ، فـــإني لكـــم أبـــدا أشْـــوَقُ
"جميـــل" تَعلَّـــق قلـــبي بـــه، و"نـــادرُ" قلـــبي بـــه أعْلـــق
صغيرين... مثـــل فـــراخ القطـــا فـــؤادي بحبليهمـــا مُوثَـــق
فـــلا اللحـــظ بعـــدهما ســـاكنٌ، ولا الجفـــنُ بعـــدهما مُطبـــق
أنـــام وأصـــحو بـــذكرهما، ويقـــوى الحـــنين فـــلا يرفـــق
أقـــول: مـــتى آن للنـــازحين على الرغم منـــا بـــأن يلتقـــوا؟
طَـــوَتْهم بـــلادٌ بهـــا وحـــشة، ولـــو أنهـــا جَنَّـــةٌ تـــورِق...
فلـــيس بهـــا كبـــدٌ رطْبـــة، ولـــيس بهـــا رَحِـــمٌ أرفـــق
وأحفادُنـــا بينـــهم ضـــائعون، فلا الطبعُ صَـــحَّ ولا المنطـــق...
ولا "الـــضاد"بينـــهمُ طلْقـــةٌ، ولا وجههـــا بينـــهم مُـــشرق
ولا يـــسمعون فـــصيح الكـــلام إذا أطعِمـــوا مـــرةً أوسُـــقوا
خليطٌ مـــن النـــسب الأعجمـــي، يـــضيقُ بـــه النـــسب الأعـــرق
وإني لأشـــفق يـــا أكبُـــدي! ولكـــن بأكبـــادكم أشْـــفَق
فأنتم غصوني الـــتي اســـتحكمَتْ ولكنـــهم غُـــصنيَ المـــورق
بـــراعمُ فـــوق ريـــاض نـــأتْ فأوسَـــعُها أبـــداً ضـــيّق
ولا "النيل" مـــن فوقهـــا كـــوثرٌ، ولا الخير مـــن فيـــضه مُغـــدق..

ولا الناس فيهـــا كنـــاسِ الحِمَـــى قلوبٌ علـــى الحـــب تـــستوثق..

أخـــاف علـــيهم ديـــارَ النـــوى فـــإن الـــضَّياعَ بهـــا مُحـــدِق..

ومـــا للعروبـــة فيهـــا بقـــاءٌ ولا للبيـــان بهـــا مَـــشْرق

يـــذوب المُهـــاجر في أرضـــها ويأكلُـــهُ جوفُهـــا المُحْـــرق

وكيـــف تَقَـــرُّ جنـــوب الغريـــب بـــأرضٍ يظـــل بهـــا يـــأرقُ؟

يُنـــادي...فيخذُلُـــهُ المـــستجيبُ، ويـــدعو فيدركُـــهُ المـــأزق...

فكيـــف تـــضيعُون أصـــلابَكم وكـــان ثـــراكُمْ بهـــا يعبـــقُ؟

وآثـــرتمُ مهجـــرا لم يعـــد يرفـــرف بالحـــب أو يَخفَـــقُ؟

فعـــودوا إلى رشْـــدكم يـــابنيَّ فـــإن الرشـــاد بكـــم أليـــق

ومـــصر أحـــقُّ بأمجـــادكم وأنـــتم بأمجادهـــا أخلـــق

بتسبرج –سنة١٩٨٠

أفتش عن أكبدي النازحين...

إلى أبنائي وحفدتي النازحين،وقد لقيتهم جميعا في أرض الغربة،وقرت العين برؤيتهم: [المتقارب]

أيـــا عطفـــةَ النـــهر والمنحنَـــى، مـــتى يجمـــعُ اللهُ مـــا بيننـــا؟
إلامَ أظـــلُّ أشـــقُّ الهـــوى وأغزو الجـــواء، وأطـــوي الـــدُّنى؟
أقلِّـــب طـــرفي هنـــاك ضُـــحًى، وأرمـــي بلحظـــي هنـــا مَوْهِنـــا
أفـــتش عـــن أكبـــدي النـــازحين وقـــد تخـــذوا في الـــسُّهى مـــسكنا
أطُـــوف المواقـــعَ مـــن أجلـــهم وَأَلَمـــسُهُم ههنـــا، أوهُنـــا...
وأرنـــو إلـــيهم بعـــين الـــذي قـــد انفلتـــت مـــن يديـــه المُـــنى
فلا مجـــدَ مـــن بَعـــدِهم يُرتَجـــى، ولا مـــالَ مـــن بعـــدهم يُقتَنَـــى
ولا ردَّ لي "مجمـــعُ الخالـــدين[1]" فِراشـــي الـــذي لم يَعُـــد ليِّنـــا
أنقِّـــل في إثـــرهم خُطـــوتى، وألقـــى بلقيـــاهم المأمنـــا
إذا مـــا أســـاء إليَّ الزمـــانُ بنأيٍ،فبـــالقُرب قـــد أحـــسنا...
بـــنيَّ لقـــد أوغلـــوا في الـــبلاد، وخلـــف الظنـــون ابتغـــوا موطنـــا
تحـــثُّهمُ رغبـــة في الـــسفار، ولا يعلمـــون هنـــا مـــا بنـــا...!
فما طـــابَ مـــن بَعـــدِهم عيـــشُنا، ولا دام مـــن بَعـــدِهم صـــفونا
عرفْنـــا المـــرارةَ مـــن بعـــدهم فهل عَرفـــوا الحلـــو مـــن بعـــدنا؟؟

---

(١) هو مجمع اللغة العربية بمصر الذي أصبح الشاعر عضوا فيها.

نزحـــت إلى أكبـــدي النازحـــات ... أجـــوس إلـــيهم طريـــق العنـــا
وقد وهَـــنَ العظـــمُ مـــني...كمـــا ... ترفَّـــقَ خطـــوي...فمـــا أوهَنـــا!
علـــيلا...ومـــا بيَ مـــن علـــةٍ ... سوى أنني ذقـــتُ طعـــمَ الـــضَّنى
فيالـــك مـــن قامـــة حـــرةٍ ... تقـــــوَّسَ صـــــاحبها،وانحنى!
رماهـــا الزمـــانُ بمـــا لا تطيـــقُ، ... وأركَبَهـــا المركَـــبَ الأخـــشنا
ولـــو كـــان همًـــا وحيـــدا لهـــانَ، ... ولكـــن همـــوم تـــصدَّت لنـــا...
إذا انـــدمل الجـــرْحُ في واحـــد ... رأينـــا الجـــراح اســـتبدت بنـــا...

بَـــنيَّ! لقـــد جئـــتكم زائـــرا ... فهـــلاَّ أعـــدتُمْ لعـــيني الـــسَّنا؟
ويا ليـــتني كـــان لي ألـــفُ عـــينٍ ... أراكـــم بهـــا كلكـــم حولَنـــا!
ويـــا ليـــتني كـــان لي ألـــفُ أذْن ... أشـــمُّ بهـــا عطـــركم سوســـنا!
ويـــا ليـــت لي بـــسطةً في الأثـــير ... تُزيـــل الحـــواجزَ مـــن بيننـــا...!
ركبـــتُ إلـــيكم متـــون الريـــاح ... بساطا علـــى الـــسُّحب مخـــشوشنا
أشُـــقُّ بـــه قممـــاً كالرمـــاح، ... وأرمـــي بـــه لُججـــاً كالقنـــا...
وقد ذاب مـــن جَـــسدي ناحـــلٌ ... تَقـــصَّفَ كـــالعُود، ثم انـــثنى
تـــسائلني الأرض:مِـــن أيّ أرضٍ ... ألَمَّ؟ ومـــن أيِّ قطـــر دنـــا؟
ولكـــــنني لا أردُّ الـــــسؤالَ ... ولـــستُ أقـــول لهـــا: مـــن أنـــا
فقد شاع أمريَ حـــتى اســـتفاض، ... وذاع على الكـــون، واســـتعلنا..!

البرازيل–صيف سنة ١٩٨٠

يا بسمةً في جديد مبتسمي...

رزق الشاعر بحفيده: عمرو... وقد استقبلت هضاب إنجلترة الباردة في شيفيلد أول نسمات الحياة لهذا الوليد الذي جاء بعد كبرة من سن جده الشاعر فاستقبله بالقصيدة التالية: [المنسرح]

قد عشتُ حتى رأيتُ أحفادي ... بعد اعتساف النَّوى بأكبادي!
رأيتُ فيهم حبالِيَ اتَّصلتْ ... بوالدي راحلاً، وأجدادي
الحمد لله! لم أَضِقْ أبدًا ... برائحٍ في الحياة أو غادي
قد عشت لم أحتفل _على زمني_ ... بنائحٍ في الرياض أو شادي
مرت عليَّ السنونُ ما عصفتْ ... بقامتي، أو رمتْ بأجلادي
ماضٍ على الخطب...لا أقابلُه ... إلا بقلب للخطب معتاد...

الحمد لله! يوم آنسني ... بناضرٍ في الغصون ميَّاد..
رُزقتُ (عَمْراً).. وما رزقتُ سوى ... عودٍ نضير يزين أعوادي
مجيئهُ كان عيدَ أسرتنا ... بل كان – والله –راس أعيادي
جاء على كَبرةٍ... فأنجدني ... يالكَ من مُسعفٍ، ومنجاد..!
يا بسمةً في جديد مبتَسمي، ... ونغمةً في حديث إنشادي..
ميلادُك الحلوُ مولدي... فلقد ... جدَّدت يا عمرو عيد ميلادي
أستقبلُ الدهرَ مذ بَدَوْتَ، وقد ... بدا شبابُ المنى بأبرادي
عاد شبابي إليَّ مذ ألقت ... أرضي بنجم من الأفق وقَّاد ...

ولـــدتَ في غُربـــةٍ... فواعجبـــاً! هل ضاق يوما بأهلـــه الـــوادي؟
واســـتقبلتْك الريـــاح بـــاردةً، ما بـــين قـــصفٍ لهـــا وإرعـــاد
على هضاب الشمال لُحـــت كَمـــا لاح بشيرٌ علـــى المـــدى هـــادى
لا بـــأس إن أنبتـــك مـــشْبلةٌ، ومـــصرُ فيهـــا عـــرينُ آســـاد!
فإنمـــا نحـــن في الحمـــى طُلَـــعٌ لكـــلِّ نجـــدٍ طُلَّـــاعُ أنجـــاد...
أنْبَتَـــكَ الله في النـــوى أمـــلا لـــدينا، للحمَـــى، وللـــضاد

شيفيلد- ديسمبر سنة ١٩٧٤

الخالدان تلاقيا...

أقام أدباء المهجر وشعراؤه في نادي جبل لبنان بمدينة سان باولو حفل توديع للشاعر بمناسبة عودته إلى مصر بعد زيارة أكباده النازحين،فألقى على المحتشدين في المأدبة السخية القصيدة الآتية: [الكامل]

أأنـــا هنـــا في مـــصرَ أم بالـــشام؟ المجـــد خلفـــي، والخلـــود أمـــامي
أنـــا في ذرا "لبنـــان"، في عليائـــه أرنو إلـــيكم مـــن ذُرا "الأهـــرام"
الخالـــدان تلاقيـــا في موكـــبٍ ضـــاحٍ بآمـــال العروبـــة طـــامي
يتعانقـــان ... لأن في متنيهمـــا ســـحرَ الخيـــال، وروعـــةَ الإلهـــام
النيـــل رواني بخمـــرة مائـــه لكـــنني صـــادٍ إلـــيكم ظـــامي!
ما كدتُ ألقاكم، وألمـس بـرَّكم حتى لقيـتُ الحلـوَ مـن أيـامي
كان اغترابُ بـنيِّ نعمـةَ شـاكر للهِ، صـــــبَّارٍ علـــــى الآلام
أَوَمـــا أتـــاحوا لي لقـــاء أحـــبتي خلفَ المحـيطِ الزاخـر المترامـي؟
كـــم نقمـــةٍ للهِ عـــادت نعمـــةً! كم مطلعٍ للـصبح بعـد ظـلام!
شكرا (للطف[1] الله) حـين أنـالني منـه مكـان الحـب والإكـرام..
أضْفَى عليَّ مـن البيـان سـبيكةً قد وطَّدت في الخالـدين مقـامي!
مـازال يمـنحني بـديع صـفاته ويزيـدُ مـن إعظامـه إعظـامي!
حتى كـأني نفحـةٌ مـن مـسكِه أو حفنـةٌ مـن خُلْقـه المتـسامي
أنـا لا أبادلُـه الثنـاء مخافـةً أن لا تقـومَ بطُهـرِه آثـامي!!

(١) هو الأستاذ فيليب لطف الله الشاعر المهجري الكبير –رحمه الله– .

أنـــا ههنـــا –والله– بـــين أماثـــلٍ نُجُـــبٍ، وبـــين مـــسوَّدين كـــرام
من كلِّ مرفـــوع القـــديم مؤثَّـــلٍ أو كـــلِّ بنَّـــاءِ الجديـــد عـــصامي
فالعطفُ منكم مُمْـــسِكٌ بـــأعنَّتي، والُحبُّ مـــنكم آخـــذٌ بزمـــامي..
ســـيانِ فـــيكم ماهـــدٌ، أو ماجـــدٌ حققتُ حـــين رأيـــتكمْ أحلامـــي..

سان باولو_أبريل سنة ١٩٧٥

لقاء على أرض الغربة

احتفلت الجالية العربية في سان باولو بالشاعر في خلال زيارة لأكباده النازحة، فألقى القصيدة الآتية في إحدى حفلات تكريمه: [الرمل]

جئـــتُ والأعيـــاد فـــيكم تتـــوالى ... لأرى العـــزَّة فـــيكم والجـــلالا
وأرى بيـــــــنكُمُ أفلاذَنـــــــا ... يتحـــدَّون علـــى الأرض الجبـــالا
خرجوا من "مصرَ" مُذْ ضاقت بهـــم ... واديا خـــصبا، وســـهلا، ورمـــالا
هجـــروا العُـــشَّ الـــذي أنْبَـــتَهُم، ... وابتغـــوا في ســـعة الأرض مجـــالا
المـــنى مـــلءُ يـــديهم، والعُـــلا ... تترضَّـــــاهم يمينـــــا، وشمـــــالا
وجدوا في الأرض منـــأى واســـعا ... لأمـــــانيهم، وأســـــبابا طـــــوالا
عرفـــوا الـــرُّوَّادَ مـــن نـــزاحكم، ... فـــابتغوا فـــيهم مثـــالا ومثـــالا
آه لمـــــا فارقونـــــا لحظـــــة... ... وانطوى البحـــرُ علـــيهم ثم مـــالا!
قلـــت: يـــا بحـــرُ ترفـــق بهِـــمُ! ... فذوى صـــوتي مـــع المـــوج وزالا!
لم تزل عـــيني علـــى الركـــب إلى ... أن تلاشى الركب في اللج وســـالا!
ومـــضى المركـــبُ بـــالنُّزاحِ...لم ... يدَّخرْ وســـعا، ولم يعـــرف مـــلالا
يـــذرع اللـــجَّ أديمـــا هائجـــاً ... ويـــشُقُّ البحـــرَ أمواجـــا ثقـــالا
وأنـــــا، والأمُّ مـــــن حَيْرتنـــــا ... قد نَزفنـــا أدمـــع العـــينِ ســـجالا
مـــا سمعنـــا طـــائراً غنَّـــى علـــى ... فَـــــنَنٍ إلا ســـــألناه ســـــؤالا
علَّـــه يعـــرفُ عـــن أكبادنـــا ... خبراً، أو علَّـــه يكـــشف حـــالا!
وإذا الأنـــسامُ مـــن عنـــدِكمُ ... تتـــهادى، والأغاريـــدُ تَـــوالَى

وبـــشيرٌ مـــن هنـــا ينبئنـــا أنهم عنـــدكمُ حطـــوا الرحـــالا..!
كـــرَّم الله رجـــالا كرَّمـــوا فيَّ أبنـــائي، فـــزادوني احتفـــالا
مسحوا الغربـــة عنـــهم، وسَـــقو هُمْ من الحـــبِّ معينـــا، وزلالا...
طوّقـــوا عنقْـــيَ مـــن أفـــضالهم ثم أعْيَـــوني لـــسانا، ومقـــالا..
إن مـــن مـــدَّ لأبنـــائي يَـــدًا مـــدَّ لي منـــه يمينـــا، وشمـــالا...
هكـــذا الـــشِّعرُ الـــذي علَّمنـــا أننـــا نحفـــظ للنـــاس الفِعـــالا..
ما أضَعْنا الحُبَّ مـــذ كنـــا صـــغارا أنُضيِْع الحبَّ مذْ صـــرنا رجـــالا؟؟

يا جنـــوبَ الأرضِ مـــن أنـــدلسٍ اسمع اليوم مـــن الأرض الـــشمالا!
جئتُ من جنـــات عـــدْنٍ نحـــوكمْ أبتغـــي في جنـــة الأرض الظـــلالا
حمَّلـــتني أرضُ قحطـــانَ لكـــمْ خيرَ مـــا فيهـــا حنينـــا وابتـــهالا!
وذُرا "الأهـــرام" قـــد حمّلـــنني كبريـــاءَ الَخلْـــق لله تعـــالى
مـــذ تلقيـــتُ هنـــا أوجُهكـــمْ أتلقّى الُحبَّ فـــيكم والجمـــالا...

سان باولو – سنة١٩٧٥

السنجاب الحائر

رأى الشاعر في غابة من غابات نيوجرسي الأمريكية سنجابا حائرا يتنقل بين الغصون والروح غاديا رائحا على غير هدى ...فذكره هذا بخطوات الحائرين على درب الغربة الطويل: [الرمل]

أيهـــا الحـــائر في الغـــاب! أَمَـــا ... لك في الغاب على الدرب دليلْ؟
تنقـــلُ الخطـــو بعـــيني حَـــذر ... فوق أغصان من الـــدوح تميـــلْ
غاديـــاً، أو رائحـــاً منـــتقلا ... لا تحـــطُّ الرَّحـــل إلا لرحيـــل..
ليت شعري! هل هنا من صاحب ... لك في الغابة، أو فيهـــا خليـــل؟
هل فقدتَ الخِـــلَّ في الغابـــة أم ... هل عَدِمتَ الأهلَ فيها والقبيـــل؟

أيها الحـــائرُ مـــن فـــرعٍ إلى ... صـــنوِه بـــين طلـــوع ونـــزول
فيم عوَّلتَ على القفـــزِ بـــلا ... مؤنس يحميك، أو إلـــفٍ يـــصول؟
وإلامَ الجري في الغاب علـــى ... سَـــفَرٍ نـــاءٍ، وفي دَرْب طويـــلْ؟
إنما الوحـــدة فيهـــا وحـــشةٌ ... لك مهما كنتَ في ظـــل ظليـــل...

يا رفيقَ الغاب لم يهـــدأ، ومـــا ... زال في بلْوطـــه العـــالي يجـــول
أكذا عُمـــرك تقـــضيه علـــى ... يَقْظة الصُّبح، وإغفـــاء الأصـــيل؟
لا تُبـــالى إن تحاشـــاك أخٌ ... أو تخطـــاك مـــن القـــوم رعيـــل
السَّما ملكُـــك والأرضُ، ومـــا ... ملكُكَ الكونين بالـــشيء القليـــل!
مَن يَكُنْ مثلـــك حُـــرًّا، مالـــه ... عن قضاء العمر في الغاب بديل...

نيوجرسي –سنة١٩٨٠

خلْف البنين النازحين

[الكامل]

الأرض ملأى باللـــهيب المـــستعرْ وأنـــت لاهٍ في الـــسماء يـــا قمـــرْ
تضحكُ والأرض عيونٌ ما انثنـــت عـــن البكـــاء أو دمـــوع تنـــهمرْ
فكـــلُّ ركـــن بـــالبلاء حافـــلٌ، وكـــلُّ صِـــقْع بالـــشَّقاء منفطـــر
وأنـــت لا يَعنيـــك منّـــا حـــادث يطوفُ، أو خَطْب على الأرض يمـــرّ
كـــأنَّ في أذْنَيـــك عنـــا صـــمَماً، أو أنـــه لـــيس بعينيـــك نظَـــرْ...

يأيهـــا الـــساهرُ في عليائـــه فينـــا عيـــونٌ لم يزايلـــها الـــسَّهرْ
لم تكتحـــل أجفانهـــا برقـــدة هادئة، أو مـــضجع قـــد اســـتقر
شـــتَّانَ مابينكمـــا... فأنتمـــا على النقيـــضين: جمـــاد، وَبَـــشَر
لا حسَّ فيك يُرتَجَى... ونحن مِـــن إحساسنا نذوب في لمح البَـــصر..!

بسْمتُكَ البلـــهاء لا تعجـــبني فلم يطبْ لي الوِرْدُ فيها والـــصَّدَرْ
وكيف يحلو لي ابتسامٌ جامـــدٌ فما له طعـــم بنفـــسي أو أثَـــر...
ما حاجتي للضوء منك؟ إنـــني في عالَم مـــن الظـــلام المنكـــدرْ؟
ما بين أحـــلام يمـــرُّ طعمُهـــا وبـــين أوهـــام تُـــذيقنيَ الأمـــرّ

وبين ما يَغشَى من الهمِّ الــذي يُثيره ليــلُ الخطــوب المكفهــر..
فكيف يكفيني بريــقٌ باهــتٌ منكَ، ويُغنــيني شــعاع مُنكــسرْ؟

يأيهــا الــدائبُ في رحلتــه حولَ مدارٍ في الــسَّماء مــستمرّ
يُسْلمك الغَرْبُ إلى رأْد الــضُّحى منتقلاً بــين الأصــيل والــسِّحَرْ
محسوبةٌ خطــاكَ... لا يُخطئهــا عَدُّ الليالي، أو تــصاريفُ القَــدر
تُطلُّ من علياكَ في الجــو علــى شُمِّ الجبــال، أو غــوائر الحُفَــرْ
ولستَ تدري غمراتِ المــشتكي ولا تُحسُّ ســكراتِ المحتــضر...
ولا أنينَ مــن أذابتــه النــوى ولا اكتئابَ من تجافــاه الــسَّمَر
ولستَ تــدري أنــني في رحلــة مثلك أعياني على الأرض الــسفر
خلفَ البــنين النــازحين لم أزلْ أقتحمُ البيــدَ علــيهم والحَــضَر
وأقطَع الجَــدْبَ إلــيهم تــارةً، وتارةً أغــرَقُ في بحــر المَطَــر...
بين الــشَّمال والجَنــوبِ هائمــا فلا تُخــيفني مزالــقُ الخَطَــر...
وأسلكُ الــدربَ إلــيهم هازئــاً بكلِّ هــولٍ في الطريــق منتظــر
فلم يعُدْ لي بعــد يــومي طاقــةٌ على احتمالي لمشقَّات الكِبَــرْ...

بتسبرج –سنة ١٩٨١

ما ضرَّ لو كنَّا التقطنا حكمةً؟

في خلال زيارة الشاعر لأكباده النازحة في الولايات المتحدة الأمريكية بلغ من العمر خمسة وسبعين عاما. فأخذ يناجي ذكريات العمر وقد أدرك غرور الحياة: [الرجز]

العمر ولّى ... والمتاعُ والطَّربْ، وأكَلَ الزمانُ منا وشربْ
خمسٌ وسبعون تولت مَرَّةً، كأنها حُلْمٌ تولَّى وذَهَب
لو أنني حسبْتُها ثوانيا أعيانيَ العدُّ، وأعيا من حَسَبْ!
كم مَرَّةٍ ذقنا حلاوة الرضى! كم مرَّةٍ ذُقنا مرارة الغضبْ!
في لحظةٍ نفرحُ.. ثم لم نكَدْ نودِّع الفرحةَ حتى نكتئب..
ولستُ أَهْنا بالذي أحبُّهُ حتى أُراعَ بالذي لست أُحِبّ
واستكثرَ الدهرُ عليَّ صِبْيتي فانفرط العقد الجميع، وانسرَب!
وانتثروا في منتآهم حَبَّةً فحبَّةً..وأبعدوا في المغترب
نلحظهم طورا بأحلام المنى، وتارة نلقاهمُ على نَصَبْ
وصرتُ والأمّ إلى رؤيتهم على جناحَيْ سفر ومضطرَبْ..

لو أنني أدركتُ قيمةَ المدى، لما تجاوزتُ حدودي في الطلب!
وكنتُ أنقذتُ خُطايَ كلها من خطوةٍ تقودني إلى العطَب..
لكنني _كالناس_ ننسى أننا قصيرةٌ أعمارنا مثلُ الحَبَب

أو كالنَّدى يطيرُ تحت الشمس، أو ... مثل البروق تختفي بين السُّحُب!
وقد يطُولُ العُمر ثم ينقضي ... كما تلوحُ الشمسُ ثم تَحْتَجِبْ..
تُطمِعُنا الآمالُ... ثم لم نَزَل ... يَجرُّنا اليأس لسوء المنقلب..
ولا نُفيقُ _ الدهرَ _ من غفلتنا ... إلا على صوت النذير المقترِب..!
ماضرَّ لو كُنا التقطنا حكمةً ... مما يمرُّ حولَنا من العَجَب؟
فلا انتبهنا للخيال المنقضي، ... ولا التفتنا للسَّراب المخْتلب
ولا اتّعظنا بالذين قَبْلَنا ... وقد طوتهم في الغياهب التُربْ
أديمُ هذي الأرضِ من أجسادهم ... ونحنُ نختالُ عليها ونثِبْ!
عجيبةٌ –ونحن ناسٌ– فاتنا ... أن حياةَ الناس لهوٌ ولعبْ
فلم تؤدِّبْنا قرونٌ قبلنا، ... ولم تعلِّمنا أحاديثُ الكُتُب!
ولا أعاننا على الفَهم الحجَى ... ولا أفادتنا العظاتُ والخطَبْ..
ولا يزال المرءُ في غفلته ... حتى توافيه المنونُ عن كَثَب..
هنا يَعودُ كلُّ سعي خائبا، ... وليس للإنسان إلا ما كَسَبْ...

الولايات المتحدة الأمريكية _صيف سنة ١٩٨١

أفكار في مساء العمر...

عند ما بلغ الشاعر خمسة وسبعين عاما: [مجزوء الكامل]

الـــشمسُ ترنـــو للمغيـــبِ والعمـــرُ يَجـــنح للغـــروبِ
مـــالا إلى الأفـــق الـــذي يَطويـــه علَّـــام الغيـــوب
يا ليـــت شـــعري! مـــا الـــذي خلف الستارة مـــن خطـــوب؟
أوْ مـــا الـــذي بعـــد المبـــا سِم، والمضَاحِك من قُطـــوب؟
لم يأتنـــــا نبـــــأٌ.... ولم نَـــسْمع جوابـــاً مـــن مجيـــبِ
نقـــضي الحيـــاةَ تـــساؤلا ونعـــود بالـــصمت الرهيـــب
إني ســـئمت مـــن التَّرَحْـــ ـــحُل، والترجُّل، والركـــوب
وأضـــعت أكبـــادي بـــأر جَـــاءِ الـــشَّمالِ أو الجنـــوب
وأنـــا وأمّهُـــمُ علـــى أمـــلٍ صـــدوق، أو كـــذوب
قلقَـــتْ مـــضاجعنا، وَعُـــدْ نـــا بالتجـــافي في الجُنُـــوب
قلـــبي وقلـــبُ الأمّ يلـــْ تظيان مـــن فَـــرْط الوجيـــبِ
حـــتى غـــدونا بدعـــةً فيما نـــراه مـــن القلـــوب...
وبلغـــتُ مـــا بلـــغ امـــرؤ بـــشبابه الغـــضِّ الرطيـــبِ
وجَرَعـــتُ مـــن حُلـــو الحيـــا ة ومُرِّهـــا كأســـي وكـــوبي
لم أَصْـــحُ مـــن أمـــلٍ نـــأَى إلا علـــى أمـــل قريـــب
وأروحُ في الـــدنيا وأغـــ ـــدو في متاهـــات الـــدروب
حـــيران تقـــذفني الرِّيـــا حُ من الـــشروق إلى الغـــروبِ

أبـــــدو كـــــأنَّ ليَ الخيـــــا رَ ولـــستُ فيـــه بالمـــصيبِ
فوق اختيـــاري كـــان لي الـــ ـــمكتوبُ في اللَّوح الحـــسيب
كيـــفَ الخيـــارُ مـــع المقـــدّ رِ، والمـــسطَّرِ، والنـــصيبِ؟
يـــا نفـــسُ قـــد حـــان الفـــرا ق لـــذلك الـــسِّجن الكئيـــبِ
ســـجنٌ مـــن الفَخَّـــار قُـــدَّ م وصُبَّ مـــن حَمَـــأٍ مـــشوب
كيـــف اســـتقامَ لـــكِ المقـــا مُ بـــذلك الجـــسَد العجيـــب؟
ماكنـــــــتِ إلا في حمًـــــى نـــاءٍ، وفي وطـــنٍ غريـــبِ
شـــــتَّانَ بـــــين مجاوريْـــــ ـــنعلى التنـــازع والحـــروب!
متـــــــساكنَيْنِ... تَناقـــــضا في الأصل، والطبـــع الغلـــوب
هـــذا مـــن الصَّلـــصال صيـــ ـــغَ، وذاكَ من نـــور وطيـــبِ

يا نفسُ قـــد غَلَبتْـــكِ أهْـــ ـــــواءُ التُّـــراب فلـــم تـــصيبي
فجنحـــتِ عـــن دَرْب العُـــلا، وهبطـــتِ في درْك الرســـوب!
لا بـــــأسَ إن أســـــرفتِ في مـــا لا يُطـــاق مـــن العيـــوب!
فـــالله كـــشَّاف الكـــروبِ والله غفَّـــــار الـــــذنوبِ

نيوجرسي _ سنة ١٩٨١

تحت أفياء عبقر

أقام الشاعر المهجري شفيق معلوف في نادي زحلة بسان باولو مأدبة غداء حافلة لصاحب الديوان وقرينته، فكانت هذه الأبيات التالية: [الكامل]

يا مَـــن بـــدأتَ مـــسبِّقًا بحفـــاوتي، إن التخلُّـــف عـــن نـــداك عقـــوق!
أفياءُ (عبقرَ) مـــن نـــداك وريفـــةٌ، وأديمُ (عبقرَ) مـــن يـــديك وريـــق
مازال يحلـــو لي بـــشعرك سلـــسلٌ، ويلـــذُّ لي مـــن روضـــتيك رحيـــقُ
شـــعرٌ كأنفـــاس الربيـــع منـــوّر صـــافٍ، ونثـــر كالـــصباح رقيـــق
وشمائـــل مثـــلُ النـــسيم لطافـــةً، وتلطـــفٌ مثـــلُ الزهـــور أنيـــق
وترفُّـــعٌ حـــتى يقـــال تكـــبرٌ، لكنـــه أنَـــفٌ بكـــم وسمـــوق..
وتـــنزُّهٌ عـــن كـــل قـــول شـــائن ممـــا تـــضِجُّ بـــه العـــلا وتـــضيق
أمـــا ســـجاياك الحـــسان فإنهـــا شـــيء ببيـــت الطيـــبين خليـــق
لله درُّ أبيـــك[1] حـــين عرفتـــه فـــإذا بـــه جبـــلٌ أشـــمُّ عريـــق
كان البقيـــةَ مـــن كـــرامِ معاشـــرٍ بهمُ اهتدى دربٌ، وَضـــاءَ طريـــق...
يا صـــاحبي! عـــذرا إذا ماخـــانني قلـــم لـــه في المعمعـــان بريـــقُ!
إني أُعيذ شـــعابَ قلبـــك أن يـــرى فـــيهن جـــرح للزمـــان عميـــق[2]
أيليـــقُ بالجبـــل الأشـــمِّ تـــصدُّعٌ؟ أيليـــقُ بـــالركن الأشـــدِّ شـــقوقُ؟
حاشى لشجعان القلوب تزعـــزُعٌ! فاليـــأس بالأبطـــال لـــيس يليـــق

---

(١) تعرف صاحب الديوان على العلامة عيسى إسكندر المعلوف من زمن بعيد.

(٢) إشارة إلى فقدان شفيق المعلوف قرينتة ونجيته "روز" المعلوف.

يا بلـــبلا مـــلأ الخمائـــل نـــشوةً غرِّدْ! ففي مـــاء الغـــدير نقيـــق[1]!

غرِّد! فما في طاقـــة الحَـــسُّونِ أن يعيا بـــه نغـــمٌ...فكيـــف تطيـــق؟!

فلكـــلِّ زهـــر في رُبـــاكَ عـــبيره، ولكـــلِّ ورد مـــن جنـــاك نـــشيق..!

أمـــا (زمـــردك[2]) الكـــريم فإنـــه عقدٌ علـــى جيـــد البيـــان نـــسيق..

لله دَرُّكَ! في وفائـــــك ســـــابقا ما كـــادَ يَلْحَـــقُ خطوتيـــه سَـــبوق

أشفقتَ يَسبقك الكـــرام ففُـــتَّهُمْ بَدأً، ولا عجبٌ فأنـــت (شـــفيق)[3]

سان باولو سنة ١٩٧٥

(١) يشير صاحب الديوان إلى ما في الشعر الجديد من غناء وخواء كنقيق الضفادع.

(٢) إشارة إلى كتاب "حبات زمرد" لشفيق معلوف.

(٣) كان تكريم شاعر الأهرام من شفيق معلوف في نادي زحلة أول مواكب التكريم التي أقيمت للشاعر الزئر المصري...

كم أرقنا من أجلهم...

نظمها الشاعر حين زاره الثري الشاعر الإنسان فيليب لطف الله والسيدة الأدبية ماريانا دعبول فاخوري في منزل ولده المهندس "يحيي" لعيادة صاحب الديوان في علته الخطيرة بالمرارة: [الخفيف]

رُبَّ ليـــلٍ حَمِـــدتُ منـــه نهـــارهْ ... حينمـــا جـــاءني بـــأحلى بـــشارهْ!
زارني الحـــبُّ والمكـــارم... لمـــا ... فزتُ من نحـــوكم بـــأحلى زيـــاره!
جئتمـــا كـــالربيع يبعـــث نفْحـــاً ... مـــن بـــواكيره، ويحمـــل شـــاره
لكما الفـــضل في الرقـــاب فعُـــذرا ... إن كبـــا الـــشعر باســـطا أعـــذاره
جئت من "مصرَ" حاملا كل شـــوق ... مِنْ لَمَـــى (نيلـــها) ومـــن (ســـقَّاره)
أتخطـــى إلـــيكمُ كـــل هـــولٍ، ... وألاقي من أجلكم كـــلَّ غـــاره...
لا أشـــقُّ العُبـــاب مـــاء ولكـــنْ ... ـــنِي أشـــقُّ الجـــواءَ في طيّـــاره...
دفعـــتني إلى بـــنيَّ ميـــولٌ ... عاصـــفاتٌ، شـــديدة، مـــوَّاره
نزحوا والـــضلوعُ تَهـــوِي إلـــيهم ... والحنايـــا علـــيهُمُ منـــهاره...
والليـــالي تمـــرُّ ســـوداً علينـــا، ... والأضـــاحي مملـــوءة بـــالمراره...
كم أرِقْنـــا مِـــن أجْلـــهم وشَـــرِقنا ... بدموع مثـــل الـــسُّيول غـــزاره..
ثم شـــــاءت إرادة الله أنّـــــا ... نُطفئ الشوقَ لاعجـــا والحـــراره...
فالتَقينـــا هنـــا بأطيـــب أرضٍ، ... ونزلْنـــا هنـــا بـــأكرم دارَه!

أيهـــا الـــشاعرُ المجلجـــلُ صـــوتاً ... قد قطعنا مـــن شـــعركم أزهـــاره!

حملتْـــهُ لنـــا النـــسائم في مـــصـــ ـــرَ وفي الشام مستـــساغَ العبـــاره
قـــد عرفنـــاك مـــن بيانـــك لمـــا ردَّدَتْـــهُ الجرائـــدُ الـــسيَّاره
وعرفنـــاك في وداعـــك[1] لمـــا ودَّعَ الـــشاعر الـــوفيُّ ديـــاره
وعرفنـــاك في (المراحـــل) شـــيخا عازِفَ النـــاي، ســـاحرَ القيثـــاره
إن–والله– في(المراحـــل) عبئـــا حملتْـــهُ فَتاتُهـــا بجـــداره
بنت عشرين[2] من ســنيها، ولكـــنْ كـــشَفتْ عـــن عزيمـــة جبـــاره
حَمَلتْ من صـــخور (لبنـــانَ)بأســـا، ومـــن (الأَرْز) كـــبرَه ووقـــاره
يـــا خليلـــيَّ إن عجـــزتُ فعـــذرا تـــركَ الـــشعرُ عنـــدكم أوتـــاره!
لم تزالوا نَبعـــا يفـــيض مـــن الحُبْـــ ـــب، وكأسا من الحنان مُـــداره!!

سان باولو_ سنة ١٩٧٥

(١) الوداع: قصيدة من أرق الشعر العربي نظمها الشاعر فيليب لطف الله حينما باع داره الرحبة، وبنى أخرى غيرها وسكنها.
(٢) هو عمر مجلة المراحل يومئذ.

عربية غريبة اللسان...

التقى الشاعر في سان باولو بفتاة جميلة تتكلم البرتغالية، ولا تعرف من العربية حرفا، مع أنها عربية الآباء والأصول في المهجر...فأثارت مساوئ الهجرة والاغتراب في نفسه الخواطر التالية: [الخفيف]

وفتـــــاةٍ رأيتُهـــــا تتـــــهادى، وإذا ظلُّهـــــا يـــــلازم ظِلِّـــــي
خـــــدُّها نـــــاعمٌ كلمـــــسة ورد! ثغرُهـــــا باســـــمٌ كحفنـــــة فُـــــلِّ!
جمعـــتْ بـــين صـــفحتيْ منكبيهـــا بين فُصحى فعلٍ، وعُجمـــة قـــول..!
قـــال لي قائـــل: تمهَّـــلْ فهـــذي من بنات الكرام مـــن خـــير نـــسل..
دَمُ عـــدنانَ في المَفاصـــل منـــها، وبأعـــصابها العروبـــة تغلـــي..
ثم حـــدثتُها... فلـــم تتبـــيَّنْ من حديثي فصلا، ولا بعضَ فـــصلِ..
الإشـــارات بيننـــا قـــد أبانـــت، فهي عنـــد الإيمـــاء جهـــد المُقِـــلِّ..!
قلتُ-والـــنفس تلتظـــي حـــسراتٍ والأســـى لفَّـــني بعُلـــوي وسُـــفلِي-:
يا ابنة العُرْب قـــد أضـــاعك قـــوم لا يُـــضيْعُون جـــارهم بـــالتخلي..!
كيف أصـــبحتِ في البرازيـــل طـــيرا أعجمـــيَّ اللـــسان، نـــائي المَحَـــلِّ؟
كيف يا أختِ صـــرتِ همـــزةَ قطـــع مـــا ألـــذَّ الحـــسانَ همـــزةَ وَصْـــل!
مِنْ سنا الشرقِ فيك ومـــضةُ بـــرق، ومـــن النجـــد فيـــكِ حبَّـــةُ رمـــل!
أنتِ مـــا دمـــتِ يـــا بنيَّـــةُ حـــولي بَردَى، والفـــراتُ، والنيـــلُ حـــولي!!
فيـــك مـــن نفحـــة العَـــرار شمـــيمٌ، وبقايـــا مـــن كـــل حَـــزْنٍ وسَـــهْل
فيـــكِ لمـــحٌ مـــن العروبـــة بـــاقٍ، ومـــن المجـــد والجـــلال المـــولِّي...

غيَّرتــك النــوى... ولكــنَّ شــيئا من تــراث الآبــاء يــسلُب عقلــي!
عطفــتْني عليــك أَوْصــالُ قــومي، جــذبتني إليــك أســبابُ أهلــي
لــيس بِــدعاً إذا هــواكِ دعــاني، وأنــا الــشيخ فانقلبْــتُ كطفــل..!
إننــا ههنــا غريبــان... لكــن شــهد المجــد أن أصــلكِ أصــلي...

سان باولو_سنة ١٩٧٥

في بيت أكبادي حللت...

جاء الشاعر المهجري إلياس فرحات من مدينة "الأفق الجميل" بالبرازيل إلى سان باولو ليُحيِّي صاحب الديوان في بيت ولده" يحيى عبد الغني"، وكان صاحب الديوان في ذلك اليوم على أهبة الذهاب إلى المطار عائدا إلى مصر. وقد قدم "فرحات" إلى صديقه عبد الغني حسن قصيدة مؤثرة رقيقة، فرد عليه الشاعر بالأبيات التالية من الوزن والقافية: [مجزوء الكامل]

أغـــــرقتَني.. فترفَّـــــقِ مـــــن نـــــورك المتـــــألقِ

وخلعتَ مِـــن صـــافي البيـــا ن علـــيَّ فـــضلَ المُغـــدق..

وأخـــذتَني بيـــديك أخْـــــ ـــذَ الـــصاحبِ المترفـــق..

تختـــارُ لي أعلـــى محلـــــْ ـــلٍ في عُـــلاكَ، وتنتقـــي..

وتجـــــوز بي في مُرتقـــــا كَ الرَّحـــبِ مـــا لا أرتقـــي

شـــرفٌ ســـبقتَ الخالديـــــ ـــن بـــه... ولَّـــا تُلحَـــق..

يكفيكَ ما حلَّقـــتَ في الـــزْ زَمـــــن القـــديم الأســـبق!

فاقعدْ علـــى هـــام الـــسُّهَى فلعلّنـــــا بـــــك نلتقـــــي!

يا نـــاظمَ الـــدرِّ الثميـــــ ـــنِ، وصاحبَ الـــشعرِ النقـــي

"الخصلة"[1] الغـــراء مـــا ذا في المـــشيب بهـــا بقـــي؟

(١) إشارة إلى قصيدة فرحات القديمة المشهورة التي أولها: =

سارت مسيرَ الرُّوح في ماءِ الشباب الريِّق
تَروي الشفاهُ سطورَها في مَغْرب، أو مَشرق
ويردِّد العشاقُ آ يتَها، وَمَنْ لم يَعشق..!
هي بعضُ حبك في صبا ك الزاهر المتألق..!
لهفي وقد عبثَ الزما ن بمائها المترقرق!

يا آسري بالمكرُما تِ، وبالجميل مطوِّقي!
أنا قَيْدُ ما أسْدَيتَ من معروفِك المتدفق..
لما مننتَ بزورتي أصبحتُ غيرَ مصدِّق!
فالفضلُ طوَّق منكبي، والنُّبل جَلَّلَ مُفرقي..!
ما زلتَ توليتني ندا كَ، ومن صنعيك مُغْرِقي
في بيت أكبادي حللـ ـتَ بسَمْتِكَ المتأنق..
وغمرت (يحيي[1]) من حنا نكَ بالظليل المورق
وأشعْتَ في البيت السُّرو رَ، وفي فؤادي الشيِّق
وبَدوْتَ في داري صبا حا كالصباح المشرق!

=خصلة الشعر التي أعطيتنيها عندما البين دعاني للنفير
لم أزل أتلو سطور الحب فيها وسأتلوها إلى اليوم الأخير

(١) هو المهندس يحيى ولد الشاعر.

سـلَّمتَ تـسليم الـودا ع، فيـا دمـوعُ ترقرقـي!

مـا كـاد يُجمَـعُ شملُنـا حـتى غَـدَا لتفـرُّق

بـالله لا تَبْعَـد فإنْـ نَـكَ كـالرَّبيع المونـق!

متمثـلٌ في خـاطري، متمركـزٌ في منطقـي..!

سان باولو_ سنة ١٩٧٥

وأقول لو كان البنون بجانبي...

كان الشاعر يكابد عملية جراحية دقيقة في المستشفى الإيطالي بالقاهرة، فكتب إليه الشاعر جورج صيدح من باريس يقول: "وأنا في مصح المعالجة لا يهمني أمري، كما يهمني أمرك..."فاهتز الشاعر لهذه الروح وكتب إليه: [الكامل]

يا مــؤْثري بحياتــك الغــراءِ، أفــديكَ... لــو ترضــى بــبعض
إني طريح ضنىً، ونضو جراحــة عوِّذتُ داءَك أن يكــون كــدائي
أَوَ مَا كفاني العمرُ أقضي شطرهُ ما بــين يــأس قاتــل، ورجــاء؟
أَوَ مَا كفاني من زمــاني ســوأةً نــأْيُ الفتــاة، وغربــة الأبنــاء؟
أقضي صباحي في السرير مفزَّعاً، وأعيش في الألم الممــضِّ مــسائي!
وأقول لو كان البنــونَ بجــانبي لوجدتُ فيهم راحتي وعزائــي...

العلم جــرَّبَ فيَّ كــل وســيلة، والطــبُّ جــرَّب فيَّ كــل دواء
ما كدتُ أخلُــص مــن عــذاب حتى تمشَّي الــسُّقم في أعــضائي
ماذا دَهَى عودي فــصار قوامــه هــدفا لــريح زَعْــزَعٍ نكبــاء؟
ما هذه الآلام تُقلــق مــضجعي، وتَزيدُ في الليل الطويــل بلائــي؟
وأكاد لا أُغضي بعــين مــواجعي، إلا علــى الأشــواك والأقــذاء
سهرانَ لو أغمضْتُ عــيني لحظــةً فكأنَّ أشــباح الحيــاة إزائــي!
صورٌ تمــرُّ بنــاظريَّ... وليــتني أجدُ السلوَّ بــه نَّعــن بأْســائِي

تمضي سُـويعات الحيـاة بطيئـةً، وكأنها تمـشي علـى اسـتحياءِ
يا عقربَ الساعات مالَك ماشـيا مَشْي السَّلاحف لا يَبينُ لرائـي؟!
فإذا فَزِعـتُ إلى النجـوم رأيتُهـا قـد سمّـرت بأعنَّـة الجـوزاء
حـسِّي بإيقـاع الزمـان فقدتُـهُ لما فقدتُ علـى الأنـين غنـائي!
يـا مـؤثري بحياتـك الغـراءِ، يا آسـري بـصفاتك الحـسناء!
لم تُنْسكَ الأوجاع أوجـاعي الـتي فاجأْنَني في (تـونسَ) الخـضراء
داهمْـنني وأنـا بـأوفر صـحة وأجـلِّ عافيـة، وخـير رُواء
ولقد هَوَيْتُ إلى الحضيض بتونسٍ، وأنـا هنـاك بقمـة النعمـاء!
دهمتنيَ الأوجـاعُ حـتى خلْـتُني أقضي بها وأنـا غريـب نـائي!
لـولا يـدٌ للطيـبين لمـستُها ما طال فيها بعـد ذاك بقـائي!
والمرء يؤتى من مـسالك صـفوِه، ويُنالُ مِـنْ أَمْـن بـه ورخـاءِ
هـي حكمـةٌ لله عـزَّ منالُهـا عن فَهْم أمثـالي مـن الـضعفاء
يجزيك رَبُّك عن مروءتـك الـتي عزَّت علـى الأشـباه والنظـراء
يكفي رقـادُك في مـصحٍّ نرتجـي لك فيه كـل سـلامة وشـفاء
إن صحَّ جسمك فهو بـرء للعـلا وسـلامةٌ للـشعر والـشعراء

القاهرة_سنة ١٩٧٧

ليس لي حيلة

أهدى الشاعر المهجري فيليب لطف الله نسخة من ديوانه (حصاد الأيام) إلى الشاعر وهو يكابد جراحة استئصال المرارة بمستشفى ساوكاميليو بالبرازيل، فأثارت الزيارة والهدية هذه الأبيات: [الخفيف]

يا حَـصادَ الأيـام جئـتَ بـنَفح ... من أنيق البيـان، حلـو العبـاره

جئـتني تمـلأ الوسـائد حـولي ... أَرَجـاً، والفـراش تحـتي طهـاره

تحمل الطيب مـن نـوافج شـيخ ... جمَّـل الله بالـشباب وقـاره

فهو مثلُ الـشباب نَـضرة وجـه، ... وهو مثلُ الربيـع لطـفَ إشـاره!

الحصاد الـسمين وافَـى فوافـت ... معـه كـلُّ روضـة معطـاره

جاءني والحـصا يمـزّق جـسمي، ... والليـالي يـرمينني بالحجـاره..

أَوَلَـمْ يكفِـني تغـرُّبُ أولا ... دي، وصبري على الخطوب المثاره؟

جئـتُ أَهْنـا بـساعةٍ في حمـاهمْ، ... فـإذا الـداء مُنـشِبٌ أظفـاره..

ليس لي حيلةٌ على عَنَـت الدهـ ... ـر، ولا أتَّقـى بجـسمي شِـفَارَه...

تلك –والله– يـا فيليـبُ ظـروفي ... ليس فـيهن موضـعٌ لاسـتعاره!

إن دائـي القـديمَ عـاودني اليـو ... مَ فأُصْـلِيتُ بالتعـذب نـاره

حـسبُهُ الله مـن عـدو قـديم ... في كيـاني، وعلـةٍ غـداره..!

كان طبعي حُلوا كمـا زعمـوني، ... فلمـاذا مـصيبتي بـالمراره؟!

أنا يـــا صـــاحبي طـــريحُ فِـــراشٍ لم تحطِّـــــم أوجاعُـــــه قيثـــــاره
لم يـــزل فيـــه معـــزفٌ يـــتغنى، والتبـــــاريح جاثمـــــاتٌ جـــــواره
فأَنلْـــهُ–قبـــل الجراحـــة– شـــيئاً مـــن محيـــاكَ، واشـــفهِ بزيـــاره..!

سان باولو_ سنة ١٩٧٥

عاد الشباب إليَّ...

أقام الشاعر المهجري المرحوم فيليب لطف الله مأدبة تكريم للشاعر في نادي جبل لبنان بسان باولو، بمناسبة زيارته لأكباده النازحين-لأول مرة- فألقى القصيدة التالية: [الكامل]

أضفَى عليَّ اللهُ كلَّ صنيعة ... مما أشيدُ بقَدره، وأباهي...
فالأرضُ دانية المنال لخطوتي، ... والأفقُ ممتدٌ بغير تناهي...
وعلى عنان الجو كلُّ ترحُّلي، ... وعلى بساط الريح كلُّ رفاهي
أنا والرفيقة لائذان بربوةٍ، ... أو هائمان بصخرة ومياه..
نجتاز من بلد إلى بلد...ومن ... أشباه جنَّات إلى أشباه...
ولنا على أهداب كلِّ خميلة ... طيرٌ تركناه بحفظ الله...
من كل فرخ كان بهجةَ عُشنا ... والآمرَ الأعلى، وكان الناهي!
نزحوا فكم من زفرة صعدتْ على ... آثار غُربتهم، وكم من آه!
ما زال يدفعني حنيني نحوهم، ... حتى التقتْ بمياههم أمواهي
عاد الشباب إليَّ يومَ لقيتهمُ ... واضيعتي من عائد أوّاه..!

أنا ههنا في غمرةٍ من حبكم ... باهيت في عطفيه كل مباهى!
لما نزلتُ على ندى لبنانكم ... أحسستُ بالجبل الأشمِّ تجاهي!
طالت إلى متن السماء مناكبي ... واعتزَّ في النادي المحلق جاهي..

وأكاد أمشي في صفوف رحـــابكم –واللهِ– مـــــشية شـــــاعر تيـــــاه!
أختال من أهـــرام مـــصر بجبهـــة شَمَّـــــاءَ لاقيـــــةٍ أشـــــمَّ جبـــــاه...
تجري العروبة في دماءينـــا ...كمـــا يجري الزلال على الأديم الزاهـــي..
عَرَبٌ وما زلنا على طـــول المـــدى من عهد كسرى، أو زمان "الشاه"..

لي في جَنُوب الأرض وقفةُ شـــاعر ساهٍ... وليس عن الفَخَار بـــساهى..
أُصغِي إلى أشعار "عبقر" عنـــدكم يـــشدو بـــلا شـــفتين.. أو بـــشفاه!
وأكاد أسمعُ كـــلَّ همـــسة شـــاعر في ليلـــهِ، أو في ضـــحاه البـــاهي..
إني أنا المحظـــوظُ حـــين رأيـــتكم مـــن ذا يـــشابهني هنـــا ويـــضاهي؟
فلقيتُ في الآفاق لطـــف أحـــبتي إلا هنـــا... فلقيـــتُ (لطـــف الله)!!

سان باولو_سنة ١٩٧٥

على شلالات "فوس ديجواسو"

عَبَر الشاعر حدود البرازيل ليشهد شلالات فوس ديجواسو الرائعة التي تفوق شلالات نياجرا، وكان في نيته أن يزور صديقه الشاعر المهجري إلياس قنصل في بونس إيرس عاصمة الأرجنتين، ولكن خاف طول الطريق، فعاد إلى أكباده بسان باولو، واعتذر لصديقه بالقصيدة التالية: [الكامل]

أنا منكَ في كَنَـف الـصديق الحـاني، أحيَـا بظـلِّ الـشاعر الإنـسانِ
مـا زلـتَ تـوليني ودادك صـافيا، وتـبرُّني حـتى علـى هجـراني!
ما إن نسيتُك مـذ عرفتـك لحظـةً، أين المـروءة فيـك أن تنـساني؟
حاشـى لمثلـك في الوفـاء لقومـه أن يطمـئنَّ لعـالم النـسيان!
أوَما رأيتـك أمـسِ ترسـم لوحـةً وتصوغها من أصـدقِ الألـوان؟
أحـسنتَ فيهـا سـيرةً (لمحمـدٍ)[1]، فبلغـتَ فيهـا غايـة الإحـسانِ
وأضـفتَ نحـو المـسلمين ودينـهم خيرَ الـذي أدلى بـه نـصراني..
ووقفتَ في التـاريخ وِقفـة منـصفٍ عالي الحقيقـة، مُقـسط الميـزان
تُملي العدالة في حـسابك كـل مـا عزّت خـواطره علـى الحـسبان
وتخـطُّ مـن عـالي بيانـك سـيرة جلَّيتـها في قـدرة وبيـان
غَـدَت التراهـةُ في يـديك فـضيلة كالـشمس لم تحـتج إلى بُرهـان

(١) يشير الشاعر إلى مطولة (النبي العربي الكريم) التي نظمها إلياس في مدح النبي عليه السلام.

مـــن كـــان بَـــرًّا بـــالنبي (محمـــد) أيعـــزُّ منـــه البِـــرُّ بـــالإخوان؟
المنـــــصفون إلى المـــــبرة مَـــــرَّةً هم منصفون لهـــا بكـــلِّ زمـــان..

أأخي! ومثلُك في وفائـــك نـــادرٌ في عـــــالم يلتـــــفُّ بـــــالنكران
إني حَرَصتُ على لقائـــك حينمـــا أنْـــأتْنِيَ الفلـــذاتُ عـــن أوطـــاني
وحسبتُ في (بَرَنا)[1]أراك، وأنـــني ســـتفوز مـــن سَـــفَرٍ بـــك العينـــان
وظننتُ أنك(والزكيَّ)[2]مُـــواجهي يومـــا، وأنكمـــا أمـــام عيـــاني!
لكن رَجَعتُ من الحدود بخيـــبتي، وظفرت _بعد الجهـــد_ بالخـــسران!
قد قيـــل لي إن الطريـــق إلـــيكمُ الـــنجمُ أدْنَـــى منـــه في الإمكـــان!
فنفضتُ عن نفسي غبار ترحُّلـــي، وضحكتُ من نفسي! فمـــا أغبـــاني!
ولقد وقفتُ على تخوم ديـــاركمْ، والمـــاءُ في "الـــشلال" كالطوفـــان
وأرى رذاذ الماء وهْـــو يـــصيبني، فينـــالُ مـــن عِطفـــي، ومـــن أردانِي
وعَلا الضبابُ على الهضاب.. كأنما أتـــتِ الـــسماءُ مُبينـــةً بـــدخان..
خُضنا إليك النهر فـــوق ســـفينة أزرى بـــصفحة وجههـــا الـــشطَّانِ
ما إن يقـــرُّ لمنكبيهـــا مـــضجعٌ، أو يـــستقرُّ علـــى المـــدى جنبـــان!
هي لا تزالُ _الدهرَ_ بين مـــودِّعٍ ومـــــودَّعٍ.. ومُباعـــــدٍ، ومُـــــداني

---

(١) برنا: نهر كبير في البرازيل والأرجنتين، وتقع الشلالات على أحد روافده.
(٢) هو الشاعر المهجري زكى قنصل، شقيق إلياس.

فهنا "البرازيل"الرحيبةُ أرضها ... والمهجرُ "الفضيُّ" يلتقيان ..
تمتدُّ أشواقي إليك بخاطرٍ ... مُتَلَهِّفٍ، وبناظرٍ حيران!
لكنّ آمالي إليكَ توقفتْ ... لما وقفتُ بهذه الأركان..
إني نسيتُ على هدير مياهها ... ما كان في نفسي من البهتان!
فشعَرتُ فوق جلالها بتفاهتي، ... وعلى ضخامتها عرفتُ هواني
وعلى دويِّ الماء فوق صخورها ... ضاع الذي أبقيتُ من ألحاني..!
وهناك طامَنَ من غروري أنني ... _مهما علا قدري_ صغيرُ الشانِ..!
إني ذَرعتُ الأرضَ نحو أحبَّتي ... يقتادني حُبي لهم وحناني
قد كدتُ أفقِدُ كلّ َصبرٍ بَعدهمْ، ... لولا البقيةُ فيَّ من إيماني..
النأي ضعضع–في الحقيقة–هيكلي، ... والبُعد –في التحقيق– هدَّ كياني
هل كنتُ أعلم قبل يوم رحيلهمْ ... أن الرياح تهبُّ في بستاني؟
فاجتزتُ من نحو الشَّمال إليهمُ ... أرضَ الجنوب بسحرها الفتَّان
الجو يُسْلمني لكل تَنُوفةٍ، ... والريحُ تَقذفني بكلِّ مكان
حتى اهتديتُ إلى مواقع خَطْوِهمْ، ... ومددتُ نحو شخوصهم أجفاني
فهُنا حِمدتُ على الزمان لقاءهمْ، ... وغفرتُ سيئةَ الزمان الجاني...

سان باولو–سنة ١٩٧٥م

شكرا لأبنائي الذين تغربوا...

أهدى الشاعر المهجري زكى قنصل نزيل الأرجنتين ديوانه "عطش وجوع" إلى صاحب الديوان، ومعه أبيات إهداء رقيقة، رد عليها بالقصيدة التالية: [الكامل]

"عَطَشٌ وجـــوع" جـــاءني بـــذخيرة ... أقتَاتُ منها ما أشـــاء، وأســـتقي
هذا هو الـــشعر الـــذي نهفـــو لـــه ... في ذلك الزمن الجديب الـــمُملقِ..
إني لقيتُكَ في الـــضمير...وإن نكـــنْ ... يـــا صـــاحبي بعيوننـــا لم نلتـــقِ
منـــذ اتجهـــتُ إلى المهـــاجر باحثـــاً ... وأنـــا أهـــيم[1] محلّقـــا بمحلِّـــق!
أَرتادُ مـــن عـــالي بيانـــك روضـــةً، ... وألوذ منـــها بالخـــصيب المـــورق
كانت دموعك في(سعادَ)[2] وســـيلةً ... لتعـــرُّفي، وذريعـــةً لتعلقـــي..
أنزفْتَ عينـــك في بكـــاء صـــغيرة، ... ونسيتَ في الأحزان فضل المغـــدِق
الله بـــدَّلَ مـــن دموعـــك بـــسمةً، ... وأراكَ فضلَ الواهب المتصدق...
(عُمَر)[3] الذي جَبَر الفؤاد وكَسْرَهُ، ... وأتى لجمع شـــتاتك المتفـــرِّق...
الله ســـــوّاه حنانـــــا دافقـــــاً ... ينهلُّ مـــن يَنْبوعِـــك المتـــدفِّق..

---

(١) اتجه صاحب الديوان إلى شعراء المهجر وأدبائه وهو يجمع مادة البحث لكتابه "الشعر العربي في المهجر" .

(٢) سعاد هي الطفلة الأولى لزكى قنصل وقد اختطفها الموت صغيرة فصنع فيها أبوها ديوانا كاملا.

(٣)عمر هو الأخ الجديد لسعاد وقد جعل الله فيه خير العوض لأبيها .

شكرا لأبنـــائي الـــذين تغربـــوا فعرفتُ فيهم حُرقـــة المتـــشوق

مازلتُ أذكرُهُمْ بكـــلِّ دُجُنَّـــة في مَغرب، أو روضةٍ في مَـــشرق

إني جمعتُ لهم مواجـــعَ شـــاعر من شمليَ المتفـــرق المتمـــزق..

فعسى الذي كتب التفرق بيننـــا بالغَيم يجمعنـــا بيـــوم مُـــشرق..

إني ألوذُ من اللطيـــف بفـــضله، وأعوذ منه بلطفـــه المترفـــق..!

واللهِ ما خابت لـــديك فِراســـتي يوما، ولا كَذَبتْ دلائل ُمنطقـــي

صحَّتْ نبوءةُ شـــاعر في شـــاعر، حتى رأيتُك في الأعـــالي ترتقـــي

حسَدتْكَ في القمم النجومُ؛ لأنهـــا مبهورةٌ من نجمـــك المتـــألق...

القاهرة سنة ١٩٧٦

جئتُ في موكب من الخُلد ضافٍ

ألقيت في مهرجان الحضارة العربية الإسلامية المنعقد بدمشق ١٩٨١ بمناسبة مرور أربعة عشر قرنا على الهجرة: [الخفيف]

صانكِ اللهُ يا دمــشقَ الحــضاره! جاءكِ الــشعر باســطا أعــذاره..
ليتَ شعري! أفي رحابِكِ مهــوًى لَمــشُوق؟ أم فــسحةٌ لزيــاره؟
شَــكَرَ اللهُ مَــن أتــاحَ لعُــودي أن ينــدِّي مــا بيــنكم أوتــاره
سَفَرتني إليك مــصر فأضحيــــ ــتُ سعيدَ الخُطى بتلك السفاره!
أنتِ أوليتني من الفــضل مــا لا يبلــغُ الحمــدُ والثنــاء قــراره..
ليَ في المهرجــان مقعــدُ صِــدْقٍ، أنــا –والله– حامــدٌ آثــاره..
إن يكن خانني التفوُّق في الــشعــ ر فمــا زلــتُ أحمــل القيثــاره!
فليغُنِّي القصيد! إنَّ اجتماعَ الش مــل لهــوَ القــصيدةُ المختــاره
يا حمًــى طبــتُ في ذراه وأَحمَــدْ تُ على وحشة الطريــق جــواره
جئتُ في موكب من الخلد ضــافٍ أتخطَّــى (الأهــرام) أو(سَــقَّاره)
في جلالٍ من (الخلائــف) طــوراً، وجمــالٍ مــن (الفــراعين) تــاره
فاتحُ القدس عن يمــيني، وخلفــي وشمــالي جيوشُــه الجــراره
والنواصي من (آل أيوبَ)زَحْفــا، والمماليــكُ ســلطةً وإمــاره
وأمامي علــى الطريــقِ إلــيكم كــلُّ أمجــاد أمَّــتي القهــاره...

جئتُ من قمــة "المقطَّــم" أجلــو "قاســيونا"، وبابَــه ومــزاره
وأرى المجــدَ عالقــا بثــراه، والحــضاراتِ تــستثير غُبــاره..
وأرى الــدهرَ عاكفــا في وقــار مُمْلِيًا مــن جلالكــم أســفاره..

أيهــا المــسعفيَّ بــالود شــكرا أن رددتم إلى ودادي اعتبــاره
شهدَ الله مــا جَفَــوْتُ... ولكــن قد قــضى الله بيننــا أقــداره..
يــا ديــارا ودَّعْتُهــا... وبرغمــي كيف يَنسى الحرُّ الكريم ديــاره؟
لا تــزالين للمفــاخر رُكنــا يا دمــشقَ العــلا، وللعــزِّ داره
كــلَّ عــام لنــا إلــيكم ســبيل نتــشهَّى قطوفَــهُ وثمــاره
خابَ من ظَنَّ واهماً في اختلاف الــرَّ أي بابــاً إلى الخــلاف وشــاره

جئــتكم والحــنينُ يعــصر قلــبي لــبَنيَّ الــذين هــدُّوا جــداره
إنــني ذاهــبٌ لهــم بعــد شــهرٍ، أتخطَّــى مــن أجلــهم أســواره
آه لــو أنــني انطــوى ليَ عــامي! فــأرى مــن شــهوره "أيَّــاره"!!
حيث تُطوَى لي الأرض والجــوُّ طيــاً في ذراع مــن جــانبَيْ طيــاره..
فــأراهم كمــا أراكــم وأغــدو شاكرا حامدا لتلــك الزيــاره...
جئْتُ في المهرجــانِ أحمــلُ وجهــاً عربيــاً قــد جمَّلتــه النــضاره

أسكُبُ العطر بينكم من رَوايا (النِّـ ـيل) يهتزُّ روضةً معطاره
(بَردَى) يجتليه موقعَ غيثٍ، ويصافيه مُزنةً مدراره...
حاملاً نحوكم من (المَجْمَع الخا لد) [1] أحلى ودٍّ،وأصفى عباره..
لغة "الضاد" وحَّدت مجمعينا، فهي خمرٌ على الشفاه مُداره..

مصر والشام من قديمٍ بناءا نِ استطالا مآثرا وجداره
حَمَلا راية العروبة والإسْـ ـلام في حكمةٍ وحسن إداره..
فالثقافاتُ منهما مستقاةٌ، والحضارات منهما مستعاره
وهما في غدٍ على حَلَك الدر ب يشقَّان فجره ونهاره...

قد حملنا المجد القديم انتصافا، واقتسمناه مكسبًا وخساره
ومشينا على طريق المعالي خطواتٍ فسيحةً جباره
ونصبنا للسالكين دُروبا، وأقمنا للحائرين مناره...
كلَّ يوم لنا على البَغْيِ حربٌ، وعلى الروم والفرنجة غاره
والحظوظ التي أُديرت علينا هي بالناس دائما دوَّاره..

---

(١) هو مجمع اللغة العربية بمصر والشاعر عضو فيه.

أنا في المهرجـــان أســـتلهم الـــشِّعـــ ـــرَ لأزجى عـــواطفي الفـــوَّاره
مِن قيودِ "الخليـــل" أحتـــرم القيـــــ ـــدَ، ومن فنه أخـــوض بحـــاره
مرحبا بالجديد ... إن كـــان شـــيئا لا يُـــضِيْعُ القـــديم أو مقـــداره!
قـــد حفظنـــا تراثنـــا... فحفظنـــا رفرفَ المجـــد كلـــه وإطـــاره...!
مـــن يُـــضِعْ أمـــسَهُ أضـــاع بحـــقٍّ غَدَه الحلوَ.. بل أضـــاع ذِمـــاره

القاهرة سنة ١٩٨١

بعثتني خمائل النيل طيرا...

ألقى الشاعر القصيدة التالية في مهرجان رسمي شعبي كبير أقيم بمدينة (المهدية) بتونس احتفالا بالتوأمة بين المدينتين: القاهرة والمهدية، وقد شهد الرئيس بورقيبة هذا الحفل الرائع: [الخفيف]

أنـــا –والله– في حمـــى (المهديَّـــه) بـــين أهـــل الـــسَّماح والأريحيَّـــه
أرســـلتني مـــصرٌ إلـــيكم رســـولا يحملُ الحـــب، وهـــو أغلـــى هديـــه
فـــاقبلوني منـــها أحـــبَّ ســـفيرٍ، واقبلـــوا شـــعره أعـــزَّ تحيَّـــه
أوَ ما تلمحون –رغم "مـــشيبي" – قـــبلاتِ الهـــوى علـــى شـــفتيَّه؟
فالتقائي بكم علـــى شـــعب الـــدر ب يُعـــزّي عـــن اغتـــراب بَنيَّـــه..
حمَّلوني أقصى الذي يحمـــلُ القلـــ ـــبُ غداةَ اختاروا الدروبَ القـــصيَّه
أنـــا في كـــل رحلـــة أتعـــزَّى بالـــذي يُـــدخل الـــسرورَ عليَّـــهْ!
كدتُ أنسى من فَرحتي في ذَراكـــم كلَّ بُؤْسَى قد بثهـــا الـــدهر فيَّـــه..
أيُّ بُؤْسَـــى أشـــدّ مـــن فلَـــذاتٍ تركونـــا في وَحـــشةٍ وبليَّـــه؟
حبَّـــذا الـــصبرُ بلـــسماً ودواءً لجـــراح عميقـــة مخفيَّـــه

موقفٌ لـــيس يُجـــزئ اليـــومَ فيـــه غـــيرُ صـــفوِ البيـــان والـــشاعريَّه
أنا في موكـــبٍ مـــن الخلـــد ضـــاحٍ طـــافحٍ بـــالجلال والعبقريَّـــه
موكبٌ فيـــه لمحـــةٌ مـــن (قـــريش)، وعليـــه ملامـــحٌ مـــن (أميَّـــه)

أشـــهدُ اليـــوم مـــن مـــآثرِ أمـــسٍ ... صُورا للجـــلال مـــا زلـــنَ حيَّـــه
آه! مَـــنْ يـــستردُّ أمجـــادَ قـــومي؟ ... ويُعيـــد المجـــدَ القـــديمَ إليَّـــه؟
بعثـــتني خمائـــلُ (النيـــل) طَـــيرا.. ... لقنتـــــه أصـــــداءَها العُلْويـــــهِ
جئتُ والـــشعر في فمـــي يتهـــدَّى، ... والخيـــالُ الجميـــل ضـــافٍ عليَّـــهْ
صـــغته اليـــوم مـــن مـــآثر قـــومي، ... وتخـــــيرتُ بحـــــره ورويَّـــــه!
عـــــربيَّ البيـــــانِ، أســـــبُكُ فيـــــه ... كـــــلَّ أمجـــــادِ أمـــــتي العربيَّـــــه
إن درب "الخليـــل" في الـــشعر دربي، ... اتخـــذنا لـــــه القـــــوافي مطيَـــــه
لم أجاوز في الـــشعر نهـــج القُـــدامى، ... كم جديـــد تكـــون فيـــه البليَّـــه!
ليس في الـــشعر مُحـــدَثٌ وقـــديم، ... إنمـــا الـــشعر نفحـــةٌ قُدســـيَّه

يا بـــلادا رأيـــتُ فيهـــا بـــلادي، ... وخُطانـــــا مقـــــسومةٌ بالـــــسَّويَّه
فكـــأني علـــى الـــشواطئ منـــها ... فوق شـــطّ الرمَـــال باســـكندريَّه!
هَدهَـــدَ المـــوج ليلـــتين ســـريري ... في بكور الـــصباح، أو في العـــشيَّه!
فهنـــاك الحمـــى يفـــورُ اعتـــزازا، ... وهنـــا ألـــفُ عـــزَّةٍ وحميَّـــه..
وهنا البحُر حـــين يَـــدْوي بـــشيء، ... يَـــسْمَعُ النـــاس في بـــلادي دويِّـــه
والـــصَّدى ههنـــا رنـــين لـــصوتٍ ... مـــن بـــلادي في الحـــق والُحريَّـــه
يطلع النصرُ مـــن ثنايـــا بـــلادي، ... وأراه هنـــــا بكـــــلِّ ثنيَّـــــه...
كلُّ صخرٍ على الـــصعيدين يـــروي ... قـــصةً مـــن جلالنـــا مرويَّـــه

من قلوبٍ علـــى الكفـــاح قويـــة، ونفـــوسٍ علـــى الهـــوان أبيَّـــه
زحَفَت للحياة... تعتـــز باللـــــــ ـــــه مُعينـــا، والعـــزةِ القوميَّـــه
أمـــةٌ للبقـــاء فيهـــا نـــصيبٌ، فهْي من عُـــصبة الكـــرام بقيـــه..
شِـــهد اللهُ حـــينَ حـــزتُ ثـــراكم حُزتُ مُلْك الزمـــان في راحتيَّـــه..

يا رعَـــى الله "تونـــساً" فهـــي مهـــدٌ للـــــذكاء المُـــــشعِّ، والألمعيَـــــه
حفظتْ ودَّنـــا علـــى الـــرغم ممـــا صـــنعته بنـــا الـــسنون الـــشجيِّه
فهـــي-إن يُـــذكَرِ الـــودادُ- ودودٌ وهي-إن يُذكر الوفـــاءُ- وفيّـــه..
المـــــودَّات بيننـــــا قائمـــــاتٌ، والأخُـــوَّات بيننـــا مرعيَّـــه...
جئتُ من مصرَ حاملا رغـــم ســـنّي تبعـــاتِ الهـــوى علـــى منكبيِّـــه!
فافرضـــوني مـــن نحوِهـــا أمنيَّـــهْ! واحـــسِبُوني مِـــنْ لحنـــها أغنيَّـــهْ!
فلقـــد جئـــتُ (للحبيـــب) بحـــبي! مـــن بـــلاد بكـــلِّ حـــبٍّ غنيَّـــه
من بلادِ الأحـــرار مهـــدِ الحـــضارا تِ قـــديما، ومـــوطنِ الحرِّيـــه...

تونس_ مايو سنة ١٩٧٦

يومَ زرنا فراخنا...

ناجت الأديبة ماريانا دعبول فاخوري صاحبة "المراحل" بالبرازيل زوجها الذي فقدته منذ ثلاثين عاما، وقد ترجم الشاعر هذه المناجاة إلى مقطوعة شعرية، وأعقبها بمقطوعة يناجي بها صاحبة المراحل: [الخفيف]

[أيهـــا النـــازحُ العزيـــز علينـــا ... أنت في القلب، في الجـــوارح منـــا
فُرقةُ الجـــسم قـــد تطـــاق، ولكـــنْ ... فرقـــة النـــازحين بـــالرُّوح أضـــنى
إنمـــا أنـــتَ لم تـــزل بجـــواري ... تملأ البيتَ مـــن وجـــودك لحنـــا..
صـــوتُك الحلـــوُ لا يـــزال قويـــا ... في كيـــاني، ولا يـــزال مُرِنَّـــا...
أتلقّـــى بـــك الحيـــاة... وأمـــضي ... في الطريق البعيـــد سَـــهلا وحَزنـــا
(الثلاثـــون) رغـــم ثقـــل خُطاهـــا ... لم تضعـــضع مـــني كيانـــا وركنـــا
أتقـــوَّى علـــى الحيـــاة بـــذكرى ... حيث كنا معـــا، وســـرنا ودُرنـــا!
هـــو عمـــر لنـــا...قـــضيناه حـــتى ... طيَّرتـــه قـــساوةُ الـــدهر عنـــا
لم يطُـــل بالـــسنينَ عـــدّاً، ولكـــن ... طـــال بـــالفكر والمـــآثر معـــنى
إنـــني أســـتمد منـــه وجـــودي، ... وأراه دعامـــــة لي وعونـــــا
يومَ أن كنتُ في حماك وكـــان الـــ ... ـــقلب ألقى زمامـــه واطمأنـــا...]

أنا يا أختُ قـــد تحسَّـــسْتُ نجـــوا ... كِ إلى الراحـــل العزيـــز علينـــا
شـــهِدَ الله مـــذ قـــرأت مناجـــا ... تـــكِ لم أســـتطع لبثّـــيَ دفْنـــا

قـــد أُخِـــذْنا بحـــسنها، وفُتِنَّـــا، وســـكرنا بخمرهـــا، وانتـــشينا!
إن هذا الوفاء قـد بخـل الدهـ ـــر بأمثالـــه، وشـــحَّ، وضـــنّا
أنتِ أضـــفيتِ بالوفـــاء علـــى الأر ض ظلالا، وزدتِ في الحـــب لونـــا!
أنتِ بنتُ الوفـــاء فكـــرا وروحًـــا، أنتِ أختُ الإخلاص حـــسّاً ومـــبنى
كـــشفتْ لي تجـــاربي عنـــك قلبـــا بـــالنفيس الـــثمين يـــوزَنُ وزنـــا
فهو أنقى من النقـــاء... وأصـــفى، وهو أزكـــى مـــن الـــضياء وأســـنى
صـــانه الله، فهـــو لم يْحـــوِ حقـــدا في تلافيفـــه، ولم يَطْـــوِ ضِـــغنا
قـــد عرفنـــاه منـــذ كنـــا التقينـــا في (البرازيل) واعتمرنـــا، وطُفنـــا!!
يـــومَ زُرنـــا فراخَنـــا... فأزَحْنـــا كُـــرَبَ الهَـــمِّ نحـــوهمْ واســـترحنا!
ثم عُـــدنا لمـــصرَ نُغمِـــض عينـــا عـــن مراراتنـــا، ونفـــتح عينـــا...

القاهرة سنة ١٩٨٠

لكنني يا أبا الأبطال معتذر...

في المهرجان التذكاري للبطل الإسلامي المجاهد الشهيد عمر المختار الذي انعقد بمدينة بنغاري: [البسيط]

لبَّيك! أهلُ الجهادِ الحرِّ قد نفــروا، كعهدهم بك في الهيجــاءِ يــا عمــرُ!
دعوتَهمُ لعُلا ذكراكَ، فاحتــشدوا، كما أمــرتَهُمُ بــالجمع فــائتمروا...
جاءوك من كل فجٍّ...لم تَضِقْ بهــمُ بدوٌ، ولا ضجَّ من وقع الخُطى حَضَرُ
يبغون كلَّ فلاةٍ قــد نزلــتَ بهــا؛ لأنهــا بــك في التــاريخ تزدهــر
فكــلُّ ذَرَّةِ رمــلٍ عنــدها نبــأٌ، وكلُّ فلقةِ صــخرٍ عنــدها خــبر...

يا ليتني جئتُ في ذكــراكَ مــشتركاً وما ثنانيَ عنــك الــسَّيرُ والــسفر!
لكنني، يــا أبــا الأبطالِ،معتــذرٌ، ما أصدَقَ الشِّعرَ إذ وافاك يعتــذر!
أكباديَ النازحون اليــوم ضــمَّهُمُ يــومٌ إلى مُلتقانــا فيــه ننتظــر..
أنا وأمُّهُمُ في مــصرَ مــا برحَــتْ أكبادنا نَحوهُمْ تهفــو، وتنحــدر...
لا صبر عندي على لقيا جوارحنــا، وأنتَ أنت على لقايَ تــصطبر..!!

(وادي أبو طاقةٍ) مــازال (أجــرَدُهُ) يخضلُّ باسمكَ فيه النبت والــشجر
فطالمــا التــهبَتْ في كــل ناحيــة منه مواقــعُ في الطَّليــان تــستعر

أقلقتَ مضجَعهم من طُول ما شهدوا، أرَّقْتَ أجفانَهم من طول ما سهروا
السَّيف في كفِّكَ البيضاءِ مُنْصَلِتٌ، وفوقَ رأسك من رشَّاشهم مطر..
تظلُّ تُسْلِمُكَ البيداء من خطر لغيره، وَعداكَ البأسُ والخَطر
وأنتَ في قِلَّةٍ بالله غالبةٍ، وإنْ أحاط بكَ الأعداءُ أو كثرُوا
غدوْتَ شيئا يُثير الرُّعبَ عندهُمُ، واسماً إذا سمعوه بينهم ذُعروا
ثبتَّ في موقع للموت ما برحتْ تَعْنُو الجباهُ له طُرَّاً، وتنفطر
وَمَنْ يخُضْ غمراتِ الحربِ جائشةً، فليس يُخطِئُه في الغَمرة القَدَر
الموتُ فوقَ فراشِ الدار مرتقَبٌ، كالموتِ تحت رَشَاشِ النار مُنتظَر..
وأشرفُ الموتتين الحقَّتينِ بِنا موتٌ تُراعُ له الدُّنيا وتنبهر

زلَّ الجوادُ الذي قد كنتَ راكبه، ولم يزلَّ لكم رأيٌ ولا فِكَر
مازلتَ بالخيل في البيداء تركبها، حتى استقام لديك السهل والوعر
فكلُّ منعرجٍ فيه لكم قَدَمٌ، وكلُّ منعَطَفٍ فيه لكم أثَرُ
دوَّختَ في الصُّبح والإمساء حشدهمُ، والشاهدان عليك الشمس والقمر..

رامُوك في شُعَبِ الوادي فما عرَفوا، وحاولوا لك إمساكا فما قَدَروا...
وما انثنى لك رمحٌ في مواجهةٍ، ولا نَبَا في يديكَ الصارم الذَّكر
لكنه قَدَر جارٍ عَثَرْتَ به، أما رفاقُك في الجلَّى فما عثَروا..

واهفرحةَ الآسريك الآن قد ظفـــروا! كأنهم بشهابٍ ثاقـــب ظفِـــروا...!
ظنوك تُقبَر في رمسٍ، وقد خـــسئوا! فإنهم بصغار العـــار قـــد قُـــبروا..
حطُّوك في حفـــرةٍ أخفـــوا معالمهـــا يا مُخفيَ العطرِ إن العِطر ينتـــشر!
ظنوك من حُمقهم في القبر منـــدثرا، لكنهم رجعوا بالخِزي وانـــدثروا..
طِيْبُ التراب على مثواكَ دلَّ كمـــا بكلِّ ما في الشذا قد يُعرَف الزَّهَـــر
ما ضرَّ حفرتكَ القَصْواءَ وحـــشتُها! كم ميِّتٍ شَرُفتْ من أجله الحُفر...

قد حاكموك، وكان الحكمُ مهزلـــةً، ورُبَّ مُبكيـــةٍ في هزلهـــا صُـــوَر
كانت إجاباتكَ الـــشمَّاءُ مؤمنـــةً، كأنهـــا حِكـــمٌ تهفـــو لهـــا العُـــصُر
أصغى الزمانُ لها لما هتفـــتَ بهـــا، وامتد في كل أفْـــق نحوهـــا البـــصَر
جريمـــةٌ بـــاءَ جانيهـــا بلعنتـــها، فعاد وهـــو بلُـــؤم الظلـــم مـــؤتزر
لم يَرْثِ للأســـد المقهـــور مترويـــا، وقد تهـــشَّم منـــه النـــاب والظّفُـــرُ
لم يَرحمِ الشيخَ في أغـــلال آســـرِه، والقيدُ في رجله، والسيف منكـــسرُ..
يا آسرَ البطلِ المغلـــول! تَبْـــصِرَةً! أللحديدِ علـــى الأبطـــال مقتَـــدرُ؟
أغرَّكَ الأســـدُ المأســـور منكفئـــاً، فَرُحْتَ ترميـــه بالـــسوأى وتبتـــدر؟
قد يَغفر اللهُ ما بالنفس من دَخَـــلٍ، إلا الغرورَ فـــذنبٌ لـــيس يغتفـــر...

فيمَ القضاءُ؟ وقد جـــاءوا بمـــشنقةٍ من قبلِ أن يبتدي في الجلسة النظـــر

حُكمٌ أعدُّوهُ قبل النطق غطرســةً، فأكبروك به من حيثُمــا صَــغُروا...

هذا الجهادُ الــذي أعليــتَ رايَتَــهُ، حملتَ فيه الذي لا يَحمــل البَــشَر

جزاكَ ربُّك أجــرَ الــصابرين لــه! فأنت ممن على البأساء قــد صــبروا

أخلصتَ لله في هذا الجهــاد... فــلا مالٌ فيُرجَــى، ولا جــاهٌ فينتظَــرُ

خيرُ الجهادِ على الــدنيا وأصــدقُهُ مــا كــان لله والأوطــان يُــدَّخَر

القاهرة_ سنة ١٩٧٩

لم أزل من نأيهم في وحشة

في تأبين الشاعر الصديق صالح جودت: [الرمل]

لو أذبتُ القلبَ دمعا مـــا كفـــى، عَقـــدَ الحـــزنُ بقلـــبي رفرفـــا
أنا مذ فارقتُ صـــنوى (صـــالحا) قلتُ: قد ودَّعتُ من دهري الـــصفا
لم تَـــزدني غربـــةُ الأكبـــاد إلا كبـــدا حَـــرَّى، وقلبـــا أوجفـــا
علَّموني مذ نـــأوا عـــن عُـــشِّهم مـــا رأى قلـــبي نـــوًى إلا هفـــا
لم أزلْ مِـــنْ نـــأيِهم في وحـــشة تُـــورث الـــنفس الـــرَّدى والتلفـــا

ههنـــا كـــان رفيـــق طيـــب غـــادرَ الرُّفقـــة ثم انـــصرفا
يـــا وفيـــاً في زمـــان غـــادر، كيف جافاك-على الرغم- الوفـــا؟
مـــا عهـــدناك لوعـــدٍ مُخلفـــا، مـــا عرفنـــاك لـــود متلفـــا...
ذهَـــبَ الظـــلُّ الـــذي كُنـــا بـــه نجـــدُ الأنـــس إذا دهـــر جفـــا
ذهب القلـــب الـــذي كنـــا نـــرى فيه من جُـــرح الليـــالي مـــسعفا...
ربَّ جُـــرح قـــد تزيْـــتَ بـــه، وتأبَّيـــتَ بـــأن تعترفـــا..
باسِـــماً في كبريـــاءٍ حُـــرةٍ تتعـــالى -عـــزةً- أن تـــضعفا
مؤمنـــاً أن مـــع اليـــوم غـــداً واثقـــا أن مـــع الـــداء الـــشِّفا
آمـــلا في رحمـــة الله الـــذي يجبُر المرضـــى، ويأســـو الـــضعَفا...
ما عرفـــتَ اليـــأسَ يومـــا واحـــدا لا، ولا كنـــتَ ليـــأس هَـــدفا

عـــامرَ القلـــب بإيمـــان الـــذي ... يرتجـــي اللُّطـــفَ بقلـــبٍ ألطفـــا..
ضـــاحكاً والأرضُ تبـــدو جَهمـــةً، ... مـــشرفا والجـــوُّ يبـــدو ســـدفا
قد جمعتَ الدين والـــدنيا... ومـــا ... كنـــتَ في لهـــوك يومـــا مُـــسرفا!
لا أرى شِـــــــــــعرَك إلا وأرى ... قبلَـــهُ بـــين يـــديك "المـــصحفا"
تُحـــسن الظـــنَّ بمـــولاك الـــذي ... قـــدَّرَ الفتنـــةَ فينـــا... وعفـــا!!
حـــسْبُنا أَنَّـــا إذا القلـــبُ هفـــا ... كـــان عفـــو الله فينـــا أرأفـــا..

يـــا حبيبـــا لم أجـــد في حُبـــه ... شـــائبا مـــن كَـــدرٍ إلا صـــفا
كنـــتَ كالطفـــل بريئـــا... لم أَجـــد ... عَنَتـــاً في طبعـــه، أو صـــلفا
تتغاضـــى عـــن إســـاءات الـــذي ... قـــدَّم الـــسُّوءَ لكـــم أو أَسْـــلفا
رُبَّ هاجٍ لـــك لم يَـــشْرُف... ومـــا ... كنت بالإحـــسان إلا أشـــرفا...
فـــإذا احتـــاج لعُنـــفٍ موقـــفٌ، ... كنـــتَ في الموقـــف منـــه أعنفـــا
وَتَـــرى الـــرأي، فـــلا نلقـــى لكـــم ... عنـــه تحـــويلا، ولا منـــصَرَفا...
لـــك في كـــل احتـــشادٍ موقـــف ... كنتَ فيه الـــشاعر المستحـــصفا
فـــإذا قـــام بـــأرضٍ منـــبرٌ ... كنتَ نايا للحمَى ...أو معزفـــا
كـــم تلفَّتنـــا لنلقـــاك علـــى ... هامـــة المنـــبر غُـــصنا أهيفـــا!
حـــاملا منـــك علـــى منكبـــه ... قائمـــا، أو صـــارما، أو ألِفـــا!
تُرســـل الحكمـــةَ لحنـــا مطربـــا، ... وتـــرود الـــشعر فنـــاً مترفـــا

لم تَعَــفْ نهــجَ (الخليــل) المجتبَــى، لا، ولا خنتَ الطريــق المقتفــى
مــا تمــردَّتَ علــى الــوزن، ولا كنــتَ إلا للقــوافي مُنــصفا...
قــل لمــن رام انحرافــا بيننــا أمِــنَ التجديــد أن تنحرفــا؟؟
لم يَــضق بــالوزن شــعرٌ خالــدٌ، لا، ولا اعتــلَّ ســناه فانطفــا
لُــمَعُ الماضــين في أشــعارهم لم نَــزَلْ نمــلأ منــها صُــحُفا..
خَلــدتْ كالــدهر يَرويهــا المــدى ســلفاً عــن أهلــها أو خلفــا
مُــذ هَجَرْنــا الــدُّرَّ مــن أبحرنــا لم نجــد درَّاً لنــا أو صَــدَفا...!

أيهــا النــازحُ عنــا! إننــا خــيرُ مَــن قــام بحــق واحتفــى
شــهِدَ الله بأنــا لم نكــن مَنْ أخــلَّ الكيــلَ حــتى طفَّفَــا
قَــدْرُك المعــروفُ لا نُنكــرهُ إنــه أكــبر مــن أن يُوصَــفا...
نحــن مازلنــا علــى ذكــراكمُ قُوَّمــا، نحــن عليهــا، عُكَّفــا
خُلــق الــشعرُ وفــاءً خالــصا هــل رأيــتم شــاعرا إلا وَفى؟
قد أضــاع المــوتُ منــا بَعْــدكم أدبــا حُلــوا، وحــسَّاً مُرهفــا
والــذي حيَّــرني في خَطــبكم كيف هذا الظَّرف واللُّطف اختفى؟؟

القاهرة سنة ١٩٧٧

خلُّوا الجراح تقرب كل من بعدوا

أقيم في بغداد في صيف ١٩٧٦ حفل تأبين للباحث الأستاذ فؤاد عباس، ودعي الشاعر للمشاركة في الحفل، فألقى الأبيات التالية التي تصور بعض مواجعه على أكباده النازحة: [البسيط]

قد دانتِ الأرضُ لي، وانقادَ لي الأمدُ، خلّو الجراحَ تقرِّبْ كلَّ من بَعُـدوا
ماكنتُ أحـسبُ (بغـداد) تقـابلني وقلبُهـا بلـهيب الحـزن يتَّقـدُ!
أيـنَ ابتـساماتُها أمـسٍ تُلَـاحقني؟ وأين موكبُها الوضَّـاح يحتـشد؟
وأيـنَ (دجلـةُ) يلقـاني بـضِحكتَه إذا نزلتُ علـى شـطيَّه أبْتـرِد؟
وأيـن (مـؤتمر التـاريخ)[1] تجمعنـا فيه خلائـقُ عِلْـمٍ مالهـا عَـدَد؟
كنـا خليَّـةَ نحـلٍ... لم يكـلَّ لهـا عزمٌ، ولم يتزعزعْ عنـدها جَلَـدُ..
واليـومَ مـا بـالُ بغـدادٍ تقابلنـا وفي محاجرها مـن نحونـا رمـد؟!
ما أبشَعَ الموتَ من ضيف يلـمُّ بنـا! وإن تكن كلُّ نفـسٍ نحـوه تَـرِدُ
حقيقـةٌ نلتقيهـا كـلَّ آونـةٍ، لكنَّ صدمتها تُـوهَى لهـا الكبـدُ
ما بال (بغدادَ) ما عـادت كعادتِهـا ولم يُغَـنِّ عليهـا طـائرٌ غِـردُ؟

(١) هو مؤتمر عالمي للتاريخ أقيم في بغداد بمارس وابريل ١٩٧٣ وكنت عضوا فيه.

لــونُ الحِــداد بعــيني في مــسالكها ... يهتزُّ مــن هولــه قلــبي ويرتعــد
واللهِ ما وَجَــدتْ عــيني بأوجههــا ... ما كنتُ في زورتي الأولى لها أجد..
أكاد أسمــعُ في النــادي مــواجعكم ... إن قام في أمرها السُّمَّار أو قعــدوا
من جاءَ في غمراتِ الحُــزن ملتحــدا ... فمالَهُ عن فِراق الحزن ملتَحــدُ...
دعوتمــوني لأبكــي في مــصيبتكم، ... إن المصابَ جليلٌ حــين تنفــرد..
إن الجِــراح بقلــبي لا يُهوِّنهــا ... إلا جراحٌ لكم بالقلــب تنعقــد
إن الــدموعَ بعــيني لا يُكفكِفهــا ... إلا دموعٌ لكم كالــسَّيل تطَّــرد..
حَمَلتُ في الصَّحْبِ أحزاني، وفي وَلَدي ... حملتُ في البَيْن ما لا يحملُ الولــد..
ومن تسئهُ الليالي مثــلَ مــا فعلــتْ ... بنا الليالي، ففي ســلوانكم مَــددُ
لا بأس لا بأس بــالأحزان تجمعنــا! ... ما دام موكبنــا بــالفرح يفتقــد
إذا قــضى اللهُ لــلآراء تــشْطِرنا ... فإن أدمُعنــا في الحــزن تتحــد..
دعوتمــوني لنقــضي حــقَّ راحلنــا ... فلا تجاوَزَكُم في ســعيكم رَشَــد!
إن الوفــاءَ لــدَينٌ في رقــابكُمُ ... ونعمــةٌ حُلــوة تــسْدونها، وَيَــدُ
ظِلُّ المــروءةِ مــا زلنــا نلــوذ بــه ... مِن بَعدِ ما جفَّ منها العُود والرغد!
واللهِ لــولا مــودَّاتُ الكِــرام لمــا ... شدَّ الرحالَ لهم صحْبٌ ولا وفدوا
ورُبَّ مُنفــردٍ بالنــاس مــن أنَــفٍ ... تجمَّعَ الناسُ في ذكراهُ واحتــشدوا
لولا بقيةُ أهــلِ الحُــبِّ مــا نَــديتْ ... منا الدروبُ، ولا اخْضَرَّتْ لنا جُدَدُ
في الحُبِّ مالقيَ الأحبابُ من عَنَــتٍ، ... وفي سبيل الوفاءِ المحضِ ما شَــهِدوا
وَمَن كمثل(فــؤاد) في الوفــاء لــه ... فإن آثاره تَنْــدَى بهــا البلــد...

رأيتُـــه ماضـــيا لم يَثْنـــهِ تَئِـــقٌ ... مُرُّ اللـــسان، ولم يَـــصرِفْه منتقِـــد

وخـــيرُ نَهْجيـــك في دنيـــاك مُزْبـــدةً ... أن لا تضايقك الأوشابُ والزَّبَدُ...!

فلا تبالي بأهـــل الحقـــد إن حَقـــدوا، ... ولستَ تأبهُ للحسَّاد إن حـــسدوا

إن النهايـــة بالأحيـــاء واحـــدة، ... ففيمَ يقتُلنا مـــن يأســـنا الكَمـــد؟

وخير ما شِـــدتَهُ ذكـــرٌ تعـــيش بـــه، ... كأنه في مداه الـــدهر والأَبـــد...

بغداد – سنة ١٩٧٦

وكنتَ برا بأكبادي...

كان الشاعر المهجري شفيق المعلوف كثير البر والسؤال عن أبنائي المغتربين في البرازيل. فلما مات نظمت هذا القصيدة التي ألقيت في حفل تأبينه: [البسيط]

من لي بموهبةٍ كبرى كموهبَتكْ؟ حتى أُحلّقَ في شعري بأجنحَتكْ؟!
إني نظمتُ لك الأمداحَ صادقة، فهل أطيقُ هنا نظما لمرثيتكْ؟
لما لقيتُك في (النادي)[1]تكرِّمني، أصغرتُ ما أكبرتْهُ الأُذنُ من صِفَتكْ
فما حظيتُ بتكريم كتكرمتكْ، ولا التقيتُ بعرفانٍ كمعرفتك
تلك المآثرُ حاطتني بمغتربي، لم ألْقَ –والله– فيها مثلَ مَأْثَرَتكْ
حشدتَ لي موكبا ضخما تعززه –مع القِرَى– لغة ٌكالحبِّ في لغتكْ!
قصيدتي لك –وايم الحق– ما بلغتْ معشار هذا التحفِّي في معلقتكْ!
يومٌ من الدهر في (سان بول)[2]ما تغدو المكارم فيه دون مكرمتكْ...
وكنتَ برَّاً بأكبادي... تؤانسهم بالعطف، والقوة الغلباء من ثقتك
تظل تملؤهُم عزما... وتحملهم على مثالك في إبَّانِ معركتك..
حيث انتصرتَ على الأيام...منتهياً بكلِّ ما رَوَت الأيام من سِمَتِكْ..
إذا رَأَوْكَ رأَوني فيكَ منبسطاً من عَذْبِ لطفك، أو من حلو مرحمتكْ

---

(١) هو نادي زحلة بسان باولو وقد أقام فيه المرثي مأدبة غداء سريةً ثريةً لتكريمي .
(٢) هي مدينة سان باولو حيث كان يقيم شفيق .

يا قمـــةً في البيـــان العـــذب شـــامخةً، أعجزتَ كلَّ نظير عـــن مناظرتـــك
فما تسَامى مقيمٌ مـــا سَـــمَوْتَ لـــه، ولا اســـتقلَّ نزيـــلٌ مثـــلَ منزلتـــك
خيـــالُ (عبقـــر) في مفـــتنٍّ أوجهـــهِ يكـــاد يـــصغرُ عمـــا في مخيِّلتـــك!
ضاقت دروب السَّعالى في مـــسالكها، لما أفَضْتَ الخيالَ الرَّحبَ من سعتك
وأنت في كـــل ديـــوان نهـــضتَ بـــه كما عهـــدناك إبـــداعاً بملحمتـــك
ترى الحياة على مبـــسوط ســـاحتها، وأنت راهبُ فكرٍ عنـــد صـــومعتك
لكـــلِّ زهـــرة روضٍ في تفتُّحِهـــا ترى عبيرا[1]، وهذا بعض معجزتكْ!
فلم يَـــسؤْ لـــك رأي في الحيـــاة، ولا تجاوزَ العدلَ حكمٌ عند مَحكمتـــك!
قد مِـــتَّ في غربـــة دكنـــاءَ نازحـــةٍ، فكيـــف تمتمـــتَ في "المـــيلاد"[2]
لفُّوك في السِّدر والرَّيحان... ويحهُـــمُ! أم اكتفوا بلـــواء فـــوق ألويتـــك؟
يا ليتني كنتُ يوم الـــدفن حاضِـــرَهُمْ! لما استحثُّوا الخُطَى ســـعياً لمقبرتـــك
لكنتُ أرجـــأتُهُم حينـــا نَـــصُبُّ بـــه أحْلَى النسائم من (لبنانَ) في رئتك!
لكنْ لعلَّكَ أســـرعتَ الخُطَـــى لهَفـــاً إلى التقائـــــك في الأخـــــرى

القاهرة – سنة ١٩٧٧

* * *

(١) يشير الشاعر إلى ديوان" لكل زهرة عبير" للمرحوم شفيق.
(٢) توفى شفيق في عيد الميلاد المجيد سنة ١٩٧٦.
(٣) هي قرينة المرحوم شفيق معلوف وملهمته: السيدة روز المعلوف.